الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

وضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرسم التسلسلي: .....

رقم التسجيل:ط: M201435083830

الحياة الاجتماعية في المـــــغرب الأوسط خلال العهد الحمادي الثاني

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماســـــتر أكاديمي

تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب (ة):

- دري شهرزاد

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:			
اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
خير	أستاذ مساعد (أ)	جامعة المسيلة	
ي حروز	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	ه
ن نويقة	أستاذ مساعد (أ)	جامعة المسيلة	

السنة الجامعية 1440-1441هـ/ 2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرسم التسلسلي: .....

رقم التسجيل:ط: M201435083830

الحياة الاجتماعية في المـــغرب الأوسط خلال العهد الحمادي الثاني

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماســـتر أكاديمي

تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب (ة):

- دري شهرزاد

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:			
اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
عامر خير	أستاذ مساعد (أ)	جامعة المسيلة	رئيسا
عبد الغني حروز	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
عبد الرحمن نويقة	أستاذ مساعد (أ)	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية 1440-1441هـ/ 2019-2020م

شكـــر وتقدير :

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

أتقدم بجزيل الشكر وأسمى عبارات التقدير والاحترام للأستاذ المشرف،

الأستاذ الدكتور : **عبد الغني حروز** لقبوله الإشراف على هذا العمل والذي لم يبخل علي يوما بتوجيهاته القيمة.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا العمل وتقييمه.

وأتوجه بجزيل الشكر إلى كل من درسني في جميع مراحل تعليمي : الابتدائي والمتوسط و الثانوي وحتى الجامعي .

إهداء :

أهدي هذا العمل إلى :

❖ من كان دعاؤهم فاتحا لطريقي أمي "تونس" وأبي " أحمد" حفظهما الله و أطال عمرهما .

❖ إلى أخوتي: فاتح، عبد الله ، شرف الدين، فضيل، تركي.

❖ إلى أخواتي: حكيمة ، رزيقة، غنية، رحيمة، حميدة.

❖ إلى زوجات أخوتي: صورية، ليلى، حنان، ياسمينة.

❖ إلى أحفاد العائلة وخاصة " سليم".

❖ إلى أخواتي بالقلب : نجاة، زينب، سهام.

❖ إلى أروح الصديقات : إيمان ، سميحة ، بشرى.

❖ إلى صديقة الطفولة :عياشة .

❖ إلى زوجي العزيز "مولود" الذي منحني الله إياه ووالديه الكريمين " العياشي"و" وزخروفة" وجميع أفراد عائلته.

❖ إلى كل من ساعدني بحرف أو بابتسامة في حياتي الدراسية .

❖ إلى كل من تمنى لي الخير طيلة حياتي.

دري شهرزاد

- **ج:** جزء.
- **د.س:** دون سنة النشر.
- **د.ن:** دون دار النشر.
- **د.م:** دون مكان النشر.
- **د.ط:** دون طبعة.
- **تق:** تقديم.
- **تح:** تحقيق.
- **تع:** تعليق.
- **تر:** ترجمة.
- **تص:** تصحيح.
- **ص:** صفحة.
- **م:** ميلادي.
- **مج:** مجلد.
- **مرا:** مراجعة.
- **ع:** عدد.
- **هـ:** هجري

الدولة الحمادية (398-547هـ/1007-1152م) إحدى الدول البربرية في المغرب الأوسط، وتمثل أول دولة عربية بربرية مستقلة تحكم المغرب الأوسط في العهد الإسلامي، أقامها حماد بن بلكين بدأها من اختطاط القلعة ثم انتقل إلى بجاية لتصير عاصمتهم الثانية بعد القلعة(5هـ/12م)، ونتيجة انتقال الحماديين لبجاية أضحت من أهم الحواضر، وعرفت الناصرية ازدهارا في مختلف مجالات الحياة سياسيا وعسكريا وثقافيا واجتماعيا، وهذا الأخير الذي ساعدته عدة ظروف منها الموقع الجغرافي الاستراتيجي لبجاية الذي جعل منها ملتقى مختلف الأجناس، فتنوعت فيها الثقافات وكان لهم الفضل في بناء الحضارة الإنسانية.

و تمحور الإشكالية التي تعالجها الدراسة حول حيثيات الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي الثاني.

و من هذه الإشكالية تتفرع إلى جملة من التساؤلات الفرعية منها :

- هل للظروف السياسية تأثير على الحياة الاجتماعية ؟
- ما هي أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار وتطور الحياة الاجتماعية ببجاية ؟
- ما مدى مساهمة ساكنة بجاية في التطور العمراني والاجتماعي ؟

أما بالنسبة للأسباب التي جعلتنا نختار موضوع هذا البحث هو: محاولتنا لإزالة بعض الغموض والغوص في الحياة الاجتماعية من هذه الفترة من تاريخ المغرب الأوسط، وإبراز دور الحماديين وما قدموه من تراث ملموس ومحسوس الذي كان له أثر في المجتمع الحمادي وبالإضافة التعرف على سير الحياة الاجتماعية عند البجائيين.

وللموضوع أهمية كبيرة لأنه يسلط الضوء على الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي الثاني خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، كما يبرز المكانة الاجتماعية التي وصلت إليها الناصرية بين حواضر المغرب الأوسط الأخرى، ورغم الأهمية نجد أن الدراسات التاريخية قد أهملت الجانب الاجتماعي ولم توله أهمية مثل الحياة السياسية و العسكرية و الثقافية.

وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي بمختلف آلياته لمعالجة هذا الموضوع أولا: المنهج التاريخي العلمي القائم بذاته ، والمنهج الوصفي في وصف موقع بجاية وعمرانها وببعض من

مظاهر الحياة اليومية للبجائيين، والمنهج الثاني هو المنهج الاستنتاجي الذي استخدمناه في استنتاج عوامل تأسيس بجاية وعوامل ازدهار الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى المنهج التحليلي وذلك في ذكر المعلومات وتحليلها مستندين على أهم المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع.

هذا و قد قسما بحثنا إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وجاءت خطة البحث على النحو الآتي:

الفصل الأول بعنوان "جغرافية وتأسيس مدينة بجاية الحمادية" يحتوي على ثلاثة مباحث الأول بعنوان "الموقع الجغرافي لبجاية"، والثاني "عوامل تأسيس مدينة بجاية" ، أما الثالث بعنوان "اختطاط وتأسيس مدينة بجاية" .

الفصل الثاني جاء بعنوان" عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية والتركيبة السكانية" ويندرج تحته ثلاثة مباحث، حيث جاء الأول بعنوان"عوامل تطور الحياة الاجتماعية " والمبحث الثاني بعنوان" سكان المجتمع الحمادي ببجاية"، والثالث بعنوان"فئات المجتمع البجائي".

الفصل الثالث الذي جاء بعنوان "المظاهر الاجتماعية والعمرانية ببجاية الحمادية" ويندرج تحته مبحثين، فالأول بعنوان "مظاهر الحياة الاجتماعية" والثاني بعنوان"المنشأة العمرانية" وفي الأخير خاتمة البحث التي جمعنا فيها مختلف الاستنتاجات التي خلصنا إليها أثناء عملنا على هذا الموضوع.

ولدراسة هذا الموضوع كان لابد من الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

أولا: المصادر:

- ✓ **كتب الرحلة والجغرافيا:** كتاب لأبي عبيد الله البكري بعنوان"المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب هو جزء من كتاب المسالك والممالك"، وهذا يعتبر من أهم المصادر في التاريخ الإسلامي فقد أمدنا بمعلومات قيمة خاصة حول جغرافية بجاية.
- ✓ كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي، ويتألف هذا الكتاب من سبعة أجزاء وهو معجم جغرافي ورد فيه العالم الإسلامي وهو أيضا ساعدنا في تحديد جغرافية المنطقة، وهناك كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي والذي يعتبر من أهم المصادر الجغرافية وفيه معلومات كافية عن الطرق والمراسي والمدن.

- ✓ **كتب التراجم والطبقات،** استخدمنا كتاب"الدراية" فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة لبجاية للغبريبي.

- ✓ **أما كتب التاريخ العام** فنجد كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لإبن عذارى المراكشي وأفادنا في الجزء الأول في قيام الدولة الحمادية ودور الأمراء الحماديين، وكتاب لسان الدين دين الخطيب بعنوان"تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط " وهو القسم الثالث من كتاب "أعمال الأعلام" وهذا الكتاب يشمل التاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى كتاب "تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" وقد أفادنا منه الجزء السادس الذي يحتوي على معلومات ومواضيع تخدم بحثنا.

ثانيا: المراجع:

- ✓ كتاب"الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها" لرشيد بورويبة وهو مرجع مختص وهام في تاريخ بني حماد.

- ✓ كتاب " دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر" لعبد الحليم عويس، تناول أيضا تاريخ الحماديين ودولتهم بمختلف مجالاتها منذ التأسيس حتى السقوط .

بالإضافة إلى بعض الرسائل الجامعية منها مذكرة " بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين" لأمينة بوتشيش، وقد أفادتنا بمعلومات على ساكنة بجاية، وكذلك مذكرة جلول صلاح بعنوان" تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي في القرن 5و6 هـ/ 11و12 م " وقد أفادنا في عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية ببجاية الحمادية.

كما اعتمدنا على مجموعة من الدوريات منها مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية العدد26، و أيضا على مجلة القرطاس العدد11.

وفي انجازنا لبحثنا واجهتنا عدة صعوبات منها:

- ✓ قلة المادة العلمية التي تتحدث عن الحياة الاجتماعية لموضوعنا.

- ✓ صعوبة وعدم توفر المصادر والمراجع بشكلها الورقي والاكتفاء بالموجودة الكترونيا.
- ✓ ظهور الوباء (فيروس كورونا المستجد) ، وانتشاره الذي مس جميع أنحاء العالم والنتائج المترتبة عليه من إصابات ووفيات وحجر صحي أدى إلى توقف كل مجالات الحياة بما في ذلك قطاع التعليم العالي وبالتالي صعوبة التواصل، إضافة إلى الشعور بالقلق والارتباك وقد أثر ذلك سلبا على الحالة النفسية للطالب.

وبعد انجازنا لهذا البحث بشكر الله ونحمده على توفيقه لنا في إكمالنا لهذا العمل، ونشكر الأستاذ على توجيهاته لنا وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد .

الفصل الأول: جغرافية وتأسيس مدينة بجاية الحمادية

- ❖ أولا: الموقع الجغرافي لبجاية.

I. الموقع الجغرافي.

II. خصائص ومميزات موقع بجاية.

- ❖ ثانيا: عوامل تأسيس مدينة بجاية
- ❖ ثالثا: اختطاط وتأسيس مدينة بجاية

❖ المبحث الأول: الموقع الجغرافي لبجاية :

المطلب الأول: الموقع الجغرافي:

بِجاية بالكسر، وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء، مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، بينهما وبين جزيرة مزغناي أربعة أيام، كانت قديما ميناء فقط، ثم بنيت المدينة وبينهما وبين ميلة ثلاث أيام . [1]

ونجد أن أبي عبيد البكري(ت487هـ) قد أورد بجاية في كتابه " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" الذي هو جزء من كتاب " المسالك والممالك" فقال: " مدينة بجاية أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة، وهو مرسى مأمون مشتى قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس، ثم مرسى بونة ،مرسى مأمون، ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل وعلى هذا المرسى في تلك الجبال قبائل كتامة " . [2]

أما الغبريني فيقول على موقع بجاية: "بجاية مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط تقع شرقي الجزائر على شاطئ البحر الأبيض المتوسط". [3]

كما يذكر الحميري في كتابه " الروض المعطار في خبر الأقطار" أن بجاية: " قاعدة المغرب الأوسط وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها وهي على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى أمسيول وهو جبل سام صعب المرتقى ". [4]

وبكتاب "نزهة المشتاق" يقول الإدريسي: "مدينة بجاية على البحر لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وفي أكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة

---

(1) شهاب الدين أبي عبد الله، ياقوت الحموي الرومي البغداوي، معجم البلدان، مجلد1، دار صادر بيروت، 1397هـ/1977م، ص:339.

(2) أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص:82.

(3) أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية(644هـ/714م) تح وتع: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص:7 .

(4) محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ص:80.

الطب مثل شجر الحضض وقال أيضا مدينة بجاية في هذا الوقت مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد" [1] .

ابن حوقل بكتابه يقول على بجاية: " وهي مدينة عليها سور منيع على نحو البحر في شفيره، وليس لها مرسى مأمون". [2]

صاحب كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار" يقول :" هي مدينة عظيمة على ضفة البحر والبحر يضرب في سورها وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة ، أصحاب قلعة أبي طويل وتعرف بقلعة بني حماد اليوم". [3]

ويضيف لنا فيقول: "هي مدينة عظيمة ما بين جبال عالية وقد أحاطت والبحر محيط بها من ثلاث جهات شرقا وغربا وجنوبا، ولها طرق توصلها إلى المغرب وطريق إلى قلعة بني حماد، ولم يكن لها طريق من جهة الغرب، لذلك لم يستطع العرب الوصول إليها إلا من يبعث له الملك". [4]

وعلى بجاية يقول العبدري في كتابه "الرحلة المغربية" "بجاية هي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية وبحرية وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني غريبة المعاني موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر، مشرفة عليها أشراف الطليعة متحصنة بها منيعة فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن وضارب". [5]

---

[1] أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، ص ص :259-260.

[2] أبي القاسم بن حوقل النصيبي المعروف بابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص:77.

[3] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص:128.

[4] المصدر السابق، ص ص :129-130.

[5] محمد العبدري البلسني، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، 2007، ص:49.

تقع مدينة بجاية على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط في شمال شرق المغرب الأوسط على خط طول 2درجة وعلى دائرة عرض 36درجة. [1]

كما نجد في كتاب المدن المغربية وصاحبه يقول: " وبجاية مدينة من مدن المغرب الأوسط واقعة في الإقليم السابع . [2]

بينما يرى عبد الحكيم العفيفي صاحب :" أن بجاية مدينة جزائرية عريقة تطل على البحر المتوسط شمال مدينة الجزائر العاصمة حوالي 200 كلم، كان الفينيقيون قد أسسوها وأطلقوا عليها اسم "صلداي"، وتحولت إلى مدينة تجارية ممتازة على عهدهم " [3] .

يقع حوض بجاية الذي يرتسم بتقوص اهليجي عرضه نحو 28 ميلا وعمقه في المتوسط ثمانية أميال، في منتصف امتداد شواطئ الجزائر، ويتصل هذا الجوف الذي يشكل ما يشبه مسرحا ضخما وبحيرة مباشرة يشمل الرمال الناعمة، ويمتد في أسفل المدينة العتيدة في الاتجاه الغربي نحو ميلين وفي هذا السهل ينصب وادي بجاية (وادي الساحل) الذي كانت السفن تدخله في العصر الحمادي وتصعد فيه من البحر مثقلة بالبضائع حتى مدينة بجاية. [4]

المطلب الثاني: خصائص ومميزات الموقع الجغرافي لبجاية :

من خلا ما سبق ذكره يتبين أن بجاية تنفرد بمجموعة من الخصائص والمميزات وذلك لما تشمل عليه من عناصر جغرافية تضاريسية مختلفة، حيث يقول الحموي: " ...ثم بنيت المدينة وهي في لحف جبل شاهق وفي قبلتها جبال كانت قاعدة ملك بني حماد، وتسمى الناصرية أيضا باسم بانيها وهي مفتقرة إلى جميع البلاد لا يخصها من المنافع شيء إنما هي دار ملكة تركب منها السفن وتسافر إلى جميع الجهات ". [5]

---

[1] محمد بن عميرة ولفطية بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، دار المعارف، الجزائر، ط1، 1436هـ/2015م، ص:15.

[2] إسماعيل العربي، المدن المغربية، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر ص: .

[3] عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، ص:101.

[4] إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص:183.

[5] الحموي، المصدر السابق، ص:339.

أما الجغرافي حسن الوزان نجد أنه قال"...بأنها تكاد أن تكون كلها مؤلفة من جبال شاهقة وعرة وتلال وسهول كما أنها تجمع بين الموقع البحري والجبلي وتوفر الحياة بها، فهي إذن بهذا الموقع الاستراتيجي تحقق الشروط الأساسية التي تبنى عليها المدن الآمنة، فجبالها المرتفعة ومنحدراتها الوعرة جعلها موقع حصين وآمن يصعب الوصول إليه بسهولة فالعابر لا يستطيع أن يخطو خطوة دون النزول أو الصعود." [1] .

ومن مميزات بجاية يقول الحميري: "...جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل البرباريس وهي عين بلاد بني حماد والسفن إليها متكررة، والسفر إليها برا وبحرا، والسلع إليها مجلوبة وأهلها تجار مياسير ولها بوادن ومزارع " [2] .

وأيضا الإدريسي قال: "...جبل يسمى مسيون وفي أكنافه جبل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحضض " .

وفي كتابه الاستبصار ذكرت مدينة بجاية كالآتي: " وهي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة وقد أحاطت بها والبحر منها في ثلاث جهات في الشرق والغرب والجنوب ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير وطريق القبلة إلى قلعة بني حماد على عقاب وأوعار، وكذلك طريقها إلى الشرق وليس لها طريق إلا من جهة الغرب فلم يكن العرب إليها سبيل ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه الملك لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها. [3]

بالإضافة إلى ذلك فالإدريسي يقول أن موقعها البحري جعل منها ذات مكانة تجارية واقتصادية بين دول المغرب وبعض الدول الأوروبية ويرجع ذلك إلى تنوع تضاريسها التي ساعدت الإنسان على الاستقرار فيها وممارسة نشاطه، وبهذا تعد المنطقة ذات موقع استراتيجي هام لأنها تتوسط العديد من المدن أي أنها تمثل همزة وصل بين الشمال و الجنوب والشرق والغرب. [4]

---

[1] ليون الإفريقي الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت935 هـ/1540م)، وصف إفيرقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ص ص :50-51.

[2] الحميري، المصدر السابق، ص ص:80-82.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص ص:129-130.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ص:259.

تقع بجاية في الشمال الشرقي للمغرب الأوسط حيث يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط وعرفت عدة تسميات عبر تاريخها: صلداي لدى الفينيقيين و الناصرية في العهد الحمادي الثاني، حيث شهدت ازدهارا حضاريا كبيرا في عهد الدولة الحمادية بحيث أنها كانت العاصمة الثانية لها.

وعلى بجاية يقول الحميري وبجاية معلقة من جبل قد دخل في البحر يضرب فيه وهي مدينة كثيرة الفواكه والخيرات وهي مشرفة زهنة مطلة على البحر، ولها نهر عظيم قد وضعت عليه نواعر وله منتزه عظيم وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة...وهذا الجبل أمسيول وهو كثير البساتين وكثير القردة وفي الحيوان المشوك المسمى بالذرب . [1]

أما على الجبال يقول ليون الإفريقي:" تكاد دولة بجاية تكون كلها مؤلفة من جبال شاهقة وعرة ذات غابات وعيون كثيرة وتسكن هذه الجبال قبائل غنية نبيلة كريمة، تملك عددا كبيرا من الماعز والبقر والخيل". [2]

في هذه الجبال معادن حديد تصنع به سبائك صغيرة تزن الواحدة منها نصف رطل وتستعمل كعملة وتضرب نقود صغيرة مع الفضة وزنها أربع حبات. [3]

ولم تقتصر أهميتها على المدن الداخلية فقط، بل شملت دولا تحيط بها من البحر وصفها أبو الفداء: " يقابل بجاية من الأندلس طرطوشة وعرض البحر بينهما ثلاث مجاري وبهذا نجد أن موقع المدينة مرتبط بالتطور الحضاري . [4]

وكل هذه الجبال تعود إلى عصر الكريتاسي ولذلك فهي كثيرة الالتواءات والأخاديد والمنحدرات الحادة، وتتكون من صخور جيرية وتحتوي على بقايا بركانية وقد شكلت حواجز أمنية جعلت من المدينة مكانا حصينا عند من يريد مهاجمتها، كما إن إلتقاء هذه الكتل الجبلية

---

[1] الحميري، المصدر السابق، ص ص: 81-82.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ص:101.

[3] المصدر نفسه، ص:102.

[4] عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، تص: رينود ودوسلان، دار الطباعة السلطانية، 1840م، ص:64.

في منطقة بجاية جعل نسبة كبيرة من مساحتها مثلما لاحظ الحسن الوزان : "...كلها عقبات، بحيث أن الماشي لا يستطيع أن يخطوا خطوات دون أن يصعد أو ينزل. [1]

غير أن سهول بجاية ضيقة تأخذ مكانها بين الكتل الجبلية وفي سفوحها وعلى أطراف الوادي من أهمها سهل الوادي الكبير أو سهل وادي الساحل أو سهل الصومام الذي يبلغ طوله 80 كلم وعرضه يصل إلى حوالي 4 كلم وهو يتوسط جبال البنيان وجبال البابور من جهة الشرق وجبلي أكفادوا وأمسيون من جهة الغرب، أي أنه يقطع جنوب غرب المدينة وتمتاز بتربة خصبة. [2]

ويتأثر مناخ بجاية بعوامل عدة هي: موقعها المطل على البحر الأبيض المتوسط وجبالها المرتفعة والرياح التي تتلقاها. [3]

وقد كانت بجاية علاوة على ازدهارها التجاري قاعدة بحرية هامة تحمي شواطئ شمال إفريقيا وخاصة ضد هجمات الروم والنورمانديين في جنوب أوروبا . [4]

كان موقع بجاية البحري الحصين ومرفؤها الطبيعي قد لفت الأنظار إليه من أقدم العصور، فبعد ما شيد الفينيقيون مدينة قرطاجبة في القرن السابع قبل الميلاد أتهجت أنظارهم إلى الشواطئ الغربية الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، وأنشئوا على هذه الشواطئ عددا من المراكز التجارية البحرية، وكانت بجاية أحد هذه المراكز التي سيسميها الرومان صلداي، تلك التسمية التي ربما ورثوها عن الفينيقيين. [5]

أما مرسى بجاية المأمون من الرياح فقد كان في العصر الحمادي أعظم ميناء بعد الإسكندرية على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط. [6]

---

[1] محمد بن عميرة ولطفية بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص:18.

[2] المرجع نفسه، ص:19.

[3] المرجع نفسه، ص:21.

[4] عبد الحكيم العفيفي، المرجع السابق، ص:102.

[5] إسماعيل العربي، دولة بني حماد وملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر، 1980م، ص:186.

[6] المرجع نفسه، ص:190.

❖ **المبحث الثاني: عوامل تأسيس مدينة بجاية :**

لم يكن تأسيس بجاية صدفة وإنما جاء لظروف وعوامل و أسباب طارئة مهدت لتأسيس بجاية حيث اختلف المؤرخين حولها فنجد أن صاحب كتاب الاستبصار يقول: "في تعليل بناء مدينة بجاية أن النتائج التي أسفرت عنها موقعة سبيبة [1]، التي هزم فيها الناصر بن علناس سنة 457هـ/1064م أمام أبناء عمومته الزيريين. [2]

أما الحموي صاحب كتاب معجم البلدان فيرجع سبب اختطاطها أن تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية أنفذ ابن عمه الناصر بن علناس [3] محمد بن البعبع رسولا لإصلاح حال كانت بينهما فاسدة ،فمر ابن البعبع بموضع بجاية وفيه أبيات من البربر قليلة فتأملها حتى التأمل فلما قدم على الناصر ودله على عورة تميم وقرر بينه وبين الناصر الهرب من تصميم والرجوع إليه، وأشار عليه ببناء بجاية واستركبه وأراه المصلحة في ذلك والفائدة التي تحصل له من الصناعة بها وعيد العدو، فأمر من وقته بوضع الأساس وبناها ونزلها بعسكره. (4)

أما ابن الأثير نجد رأيه من رأي الحموي حيث قال: "لما كانت هذه الوقعة بين بني حماد والعرب وقوية العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك وأصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزيرا اسمه أبو بكر بن أبي الفتوح وكان رجلا جيدا يجب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر : "ألم أشر عليك أن لا تقصد ابن عمك ؟ وأن تتفقوا على العرب فإنكما لو اتفقتما لأخرجتما العرب، فقال الناصر : "لقد صدقت ولكن الأمر لما قدر فأصلح ذات بيننا، فأرسل

---

[1] سبيبة: مدينة قديمة البناء تقع على الطريق بين القيروان وتبسة تسكنها قبائل من البربر وتمتاز هذه المدينة بكثرة الأنهار، ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:60.

[2] مجهول، المصدر السابق، ص ص:128-129.

[3] الناصر بن علناس، خامس ملوك بني حماد وأعظمهم ملكا وأبعدهم صيتا، فقد كان حازما جوادا عالي الهمة حيث يقول عنه ابن الخطيب: " جريئا على سفك الدماء شديد الغيرة على النساء له في ذلك أخبار مشهورة" ، ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:96.

[4] الحموي، المصدر السابق: ص:339.

الوزير رسولا من عنده إلى تميم يعتذر ويرغب في الإصلاح فقبل تميم قوله وأراد أن يرسل رسولا إلى الناصر فأستشار أصحابه فأجتمع رأيهم على محمد بن البعبع". [1]

وفي هذا رأي ابن الخطيب أنه لم استقام الأمر للناصر بن علناس، كره مجاورة بني حماد أكناف القلعة المنسوبة إليهم، إذ كان يسكنها من فرسان صنهاجة اثنا عشرة ألف فارس فبنى قريبا منها بالجبل مدينة وقصورا شامخة، مسماة بأسماء عدة ونجد أنه لم يرجع بناءها إلى معركة سبيبة وما ترتب عنها. [2]

أما النويري في كتابه نهاية الأرب بعدما ذكر الواقعة بين بني حماد والعرب أيضا ما ذكره عن الصلح الذي وقع بين الناصر وابن عمه ثم قال: وخرج الناصر من ساعته ومعه ابن البعبع إلى بجاية وترك الوزير بالقلعة، فوصلا إليها ورسم ابن البعبع المدينة والصناعة والميناء وموقع القصور واللؤلؤة وأمده الناصر من ساعته بالبناء والعمل وشكره وأثنى عليه، وعاهده على وزارته، ورجعا جميعا إلى القلعة. [3]

أما قول صاحب كتاب الروض المعطار فقال عن سبب بناء بجاية: " وكان سبب بنائها أن العرب لما دخلوا إفريقية وأفسدوا القيروان، المعز بن باديس إلى المهدية كان ابن عمه صاحب القلعة المنصور بن بلكين بن حماد أشد شكوة من صاحب القيروان وأكثر جيشا كبيرا، فلقيته العرب بحملتها بصحف سبيبة على مقربة من القيروان، فكان بينهم يوم عظيم حتى هزم المنصور وقُتل أخوه وأكثر صنهاجة، وذلك أن أخاه كان أسن منه فنهاه من مقاتلة العرب"، أنت ببلادك فأبعث إليهم وصانعهم يأتوك خاضعين طامعين في حبائك فهذا من خلق العرب قديما فأبى إلا لقائهم فلما كان ذلك اليوم وهزم قال له أخوه:" ألم أنهك أن تلقاهم بنفسك فإن كانت السلامة من الله تعالى وإلا بقيت أنت للناس فليس منك الخلف وهذا أقرب ما يفعله الأخ

---

[1] أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الملقب بعز الدين (ت630هـ) مر وتص: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م، ج8، ص:373.

[2] لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح وتع: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص:94.

[3] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(ت733هـ)، بهاية الإرب في فنوون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج24، ص:125.

مع أخيه والمولى مع وليه،أعطاه عمامته ورايته وكان مشهورة فسار بالجيش حتى لحق وقُتل". [1]

إن المستشرقين اعتمدوا على رواية ابن خلدون وأهملوا رواية ابن الأثير وذكروا أن سبب تأسيس مدينة بجاية هو خوف الناصر من بني هلال، فلا نسلك مسلكهم ونضن أن السبب الرئيسي التشييد لبجاية هو أن الناصر كان يريد المهدية، فتبين له أنه لا يستطيع فتحها إلا إذا هجم عليها من جهة البر ومن جهة البحر لذلك اختار مرسى مأمونا أقرب من إفريقية ومن المراسي الموجودة بمملكته وواقعا في ناحية غنية بالحديد والغابات تسمح له بإنشاء الأسطول الذي يحتاج إليه لتحقيق مشروعه، والدليل على أن قلعة بن حماد كانت غير مهددة من طرف بني هلال في عهد الناصر وحتى في عهد ابنه المنصور هو أنها بقيت عاصمة ثانية للحماديين وأن الأميرين المذكورين شيدا فيها عدة مباني مشهورة. [2]

ولما شعر بنو حماد بتهديد العربان لعاصمتهم القلعة فكروا في نقل قاعدة ملكهم إلى الشواطئ وأنشئوا بجاية . [3]

ومن الواضح أن اختيار الناصر لبناء بجاية في هذا المكان لم يكن إلا نتيجة لما تتمتع به من موقع ومناخ استحوذ على إعجابه، فهي على شكل مثلث قاعدته الميناء أو البحر الذي يقع على ساحله، حيث تقوم كفاصل من الفواصل الكثيرة بين إفريقية (تونس) والمغرب لكنها مع ذلك على جرف حجر متكئ من جهة الشمال على جبل يسمى مسيون صعب المرتقى وليس لها طريق سهل إلا من ناحية الغرب، وباقي طرقها شرقا وجنوبا على أوعار كما أنها تقع بين مدينتين مهمتين هما الجزائر وقسنطينة، وتصل على خليج يحميها من ثوران البحر ولذا كانت المدينة في القديم مجرد ميناء أو مرسى. [4]

---

[1] الحميري، المصدر السابق، ص:81.

[2] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1397هـ/ 1977م، ص:68.

[3] أحمد بن محمد أبو رزاق، الأدب في عصر دولة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص:93.

[4] عبد الحليم عويس، دولة بن حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م، ص:98.

كما أن القبائل العربية بعد ما عاثت في بلاد إفريقية فسادا و دمرت القيروان وغيرهما بدأن تضيق على القلعة مما دفع الناصر أن يبحث عن موضع يبني فيه ولا يلحقه فيها العرب، فدُل على موضوع بجاية وكان مرسى ويقال أنه كانت فيه آثار قديمة وأنها كانت مدينة فيما سلف، فبناها المنصور(الناصر) وسماها المنصورية وانتقل ملكهم من القلعة إلى بجاية واتخذها دار مملكتهم. [1]

ولما تخوف الناصر من ثورة الأعراب وهجماتهم الساحقة على عاصمته "القلعة" سعى في اختطاط بجاية في شارة وزيره ابن البعبع وبناها على أنقاض "صلداي" الفينيقية والرومانية سنة 460هـ/1067م كما قدمنا، وكانت من أهم مدن نوميديا في القديم، ثم انتقل إليها واتخذها عاصمة لدولته، وقصدها الناس من مختلف النواحي فلم تلبث أن استبحر عمرانها وكثر سكانها وأصبحت مراكز أسقفية نصرانية في القرن الخامس الهجري ومن ذلك التاريخ عادت بجاية من أعظم مدن في المغرب الأوسط . [2]

وفي هذا يضيف محمد الطمار بقوله : "قلنا أن الهلاليين غشوا ناحية القلعة فصالح الحماديون العبيديين لتصبح دولتهم في مأمن من شر أولئك الأعراب فخفت وطأة عبثهم وفسادهم فنشطت الفلاحة وتفتحت الأسواق التجارية ورغم ذلك كان الناصر كثير الحذر شديد التخوف ففكر في تأسيس مدينة حصينة يجعلها قاعدة لملكه، فأختار موقعها على مقربة من الميناء الفينيقي "صلداي"". [3]

وفي سنة 460هـ قرر الأمير الناصر بن علناس أن ينقل عاصمته من القلعة لما كان يقع لهم من سوء العذاب والخسف من الأعراب الهلاليين بوط ساحتها والعبث في نواحيها وتخطف الناس من حولها لسهولة طرقها على رواحلهم وقد أضطرب أمر بني عمومتهم بالمهدية وخربت مدنهم وضعفت شوكتهم بالفوضى والعبث التي قام بها الهلاليين، والغارات التي سنوها على كل القرى والمدن والنهب والسلب وأختار جبل بجاية . [4]

---

[1] الطاهر طويل، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، ط1، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية و الإعلامية، الجزائر، 2011، ص:302.

[2] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط3، ص:146.

[3] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص:142.

[4] سليمان داود بن يوسف، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبو داود، الحراش،1993م، ص:82.

❖ **المبحث الثالث: اختطاط و تأسيس مدينة بجاية :**

يقول ابن خلدون في سنة ستين وأربعمائة افتتح جبل بجاية وكان له فتيل البربر يسهون بهذا الاسم إلا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كاف بل هي يبين الجحيم والكاف وعلى هذا القبيل من صنهاجة يأتون لهاذا العهد أوزاعا في البربر فلما فتح هذه الجبل اختط به المدينة وماسها الناصرية وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية وبني بها قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا ونقل إليها الناس. [1]

أبو العباس الغبريني يذكر لنا في اختطاط المدينة فيقول اختطها سنة 460ه الناصر بن علناس أقصر ملوك الدولة الحمادية وأعظم شأنها ثم اتخذها عاصمة ملكه وسماها الناصرية باسمه، بلغت بجاية في عهد الحماديين درجة كبيرة من التقدم والعمران واحتلت مكانة مرموقة بين حواضر العلم في المغرب و المشرق فأمها الكثير من علماء مصر والشام والأندلس فانتعشت الثقافة العربية وازدهرت الحركة العلمية حتى قيل وأن عدد المفتين فيها بلغ تسعين مفتيا في زمن واحد ". [2]

أما ابن الخطيب في كتابه أعمال الإعلام :" وكان الناصر جريئا على سفك الدماء شديد الغيرة على النساء له في ذلك أخبار مشهورة وهو الذي بنى مدينة بجاية وسماها الناصرية واتسعت مملكة الناصر إلى أن بايعه أهل القيروان سنة ستين وأربعمائة وأهله الناس وقصدوه الشعراء". [3]

بينما يرى صاحب كتاب معجم البلدان ويقول :" وأشار عليه ببناء بجاية واستركبه وأراه المصلحة في ذلك والفائدة التي تحصل له من الصناعة بها وكيد العدو، فأمر من وقته بوضع الأساس وبناهما ونزلهما بعسكره، ونمى الخبر إلى تصميم فأرصد لأبي البعبع العيون فلما أرد العرب قبض عليه وقتله والحق به عاقبة الغدر". [4]

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (ت808ه)، ضبط: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، 1431ه/2000م، ج6، ص ص:231-232.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص:7.

[3] ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص:96.

[4] الحموي، المصدر السابق، ص:339.

مهما كان الحال في سنة 460هـ/1066-1067م فتح الناصر جبل بجاية وكان له على قول ابن خلدون قليل من البربر أوزاعا في البربر ثم ذكر صاحب كتاب العبر:" أن الناصر افتتح هذا الجبل واختط به المدينة وسماها الناصرية ...ونقل إليها الناس واسقط الخراج عن سكانها وانتقل إليها سنة إحدى وستين[1]، اختطت بجاية سنة 460هـ/1067م على يد الناصر بن علناس وانتقل إليها وسماها الناصرية وأقامها وازدهرت في عهده، حيث أسس المدارس والمعاهد العلمية وأمر أن توزع المنح على العباقرة و المبرزين في كل مجال وتطورت العلوم بمختلف مجالاتها في بجاية الناصرية. [2]

ويضيف عبد الحليم عويس ويقول: "وعندما شرع الناصر بناءها سنة 460هـ/ 1067م اجتذب إليها عددا كبيرا من السكان إذ كان يعفي جميع السكان الجدد من الضرائب وكان يجبر الأهالي على بناء المساكن كما كان يفرض على كل من يدخل هذه المدينة أن يجلب معه حجرا أو يدفع قطعة من الذهب ولما تم بناؤها أطلق عليها الناصر اسمه فأصبحت أسمها الرسمي "الناصرية" ولكن لم يُقدر لهذا الاسم أن يحظى باستعمال الناس، إذا غلب على المدينة اسمها القديم المنتسب إلى أشهر قبيلة سكنتها هي قبيلة بجاية.

وفي العام التالي 461هـ/1068م انتقل إليها الناصر وبدأ يقوم بعملية تحضير شاملة لها". [3]

إن اضطرب أمر الحماديين وكثر الثوار في غرب البلاد وجنوبها إثر معركة سبيبة لكن ليس لليأس على قلب الناصر سلطان، فمعركة سبيبة عنده كسحابة صيف ، وفعلا نهض من كبوته وأرجع إلى دولته هدوءها ويسرها وعزتها.

افتتح بجاية واختط مدينة 460هـ/1068م سماها الناصرية وتسمى عن الناس باسم القبيلة وهي بجاية وبنى بها الؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا ونقل إليها الناس وأسقط الخراج عن سكانها وانتقل إليها سنة 461هـ/1069م. [4]

---

[1] رشيد بورييبة، المرجع السابق، ص ص:68-69.

[2] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، ص:142.

[3] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص:103-104.

[4] محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص:114.

اتسع ملك الناصر، وتغلب على قبائل البربر وأنشأ لنفسه مدينة سماها "الناصرية" وهي التي عرفت من بعد باسم "بجاية" والتي بنى بها قصره العجيب "اللؤلؤة" واتخذها عاصمة له اعتبارا من عام 461هـ/ 1068م ". [1]

ثم قام النزاع بين الناصر وتميم ثم عاد بينهما الوفاق ثانية في عام 461هـ/1068م .

بني الناصر بجاية وشيد فيها المساجد والقصور وجعلها عاصمة لدولته. [2]

فمدينة بجاية حسب الإدريسي تكون قد بنيت وعُمرت بخراب القلعة التي بناها الحماد بن بلكين، غير أن ذلك يكون قد أخذ وقت من الزمن فلقد بدأ الناصر بن علناس بعد عام 457هـ في إتباع سياسة لتشجيع الناس على السكن بمدينته الجديدة وتعميرها فقد لجأ إلى إسقاط الخراج على سكانها حتى إذا ما كانت سنة 461هـ نجد المدينة قد عمرت وأصبحت بها قصور والتي اعتبرت من أهم المظاهر العمرانية ببجاية. [3]

وعن الناصر بن علناس قال ابن خلدون: " بلغت جنوده إلى واركلان وولى عليها وأخضع بسكرة ونوحيها وأسس بجاية سنة 460هـ/1067م وبنى بها قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا ونقل الناس إلى بجاية وأسقط الخراج عنهم". [4]

فبدأ في تخطيطها سنة 460هـ/1067م، بعد ثلاث سنوات من الدراسة والبحث عن المكان اللائق وقد نجح في اختياره، فهي مبنية في أحسن ناحية من نواحي إفريقيا حيث ينهمر فيها المطر مترا و35 ميلمتر في السنة، ولها طقس معتدل خصوصا في الربيع والشتاء وموقع بديع على خليج بجاية المفتوح الذي تكتنفه جبال البابور فتجعل منظره من أبدع ما تراه العيون. [5]

---

[1] محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، مدينة نصر، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، ص:125.

[2] محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، ص:156.

[3] الطاهر طويل، المرجع السابق، ص:303.

[4] رابع بونار، المرجع السابق، ص:146.

[5] سليمان داود بن يوسف، المرجع السابق، ص:82.

إنه قيل على تأسيس بجاية العاصمة الحمادية الثانية استقر الحكم الحمادي في بجاية في سنة 460هـ/1067م بقرار من الأمير الناصر وهذا ما يظهر على أنه تأسيس جديد. كان المغرب الشرقي في هذه الفترة منقسما بين سلالتين قريبتين في النسب فقاسمتا المجال السابق للفاطميين بعد مغارتهم نحو مصر في الشرق وعاصمتهم القيروان والحماديون في الغرب. [1]

[1] دومينيك فالبيري، بجاية ميناء مغاربي(1007-1510م)، تر: علاوة عمارة، ج1، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص:57.

الفصل الثاني: عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية والتركيبة السكانية

❖ أولا: عوامل تطور الحياة الاجتماعية .

I. عوامل طبيعية.

II. عوامل سياسية واقتصادية.

III. عوامل ثقافية واجتماعية

❖ ثانيا: سكان المجتمع الحمادي .

I. العناصر السكانية و أشهر القبائل

❖ ثالثا: فئات المجتمع.

I. الطبقة الحاكمة.

II. الطبقة الوسطى.

III. الطبقة العامة.

IV. طبقة العبيد و الإماء.

V. دور المرأة في المجتمع.

❖ المبحث الأول: عوامل تطور الحياة الاجتماعية :

المطلب الأول: عوامل طبيعية:

إن موقع بجاية الإستراتيجي المطل على البحر الأبيض المتوسط هو عامل من عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية حيث تتوسط مدن المغرب الأوسط على حد قول الحموي:" بينها وبين جزيرة مزغناي أربعة أيام" وأيضا قال: "وبينها وبين ميلة ثلاثة أيام" . [1]

مدينة بجاية كانت قريبة من قلعة بني حماد بالمسيلة التي كانت عاصمة الحماديين قبل تأسيس بجاية وهذا ما يؤكد قول البكري في كتابه المغرب حيث قال" ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل.. "[2] ، و"هي عين بلاد بني حماد" من كتاب الروض للمعطار. [3]

الجبال التي نجدها في بجاية يوجد فيها من النباتات المنتفع بها خاصة في مجال الطب على حد قول الحميري: "...هو جبل سام صعب المرتقى، وفي أكنافه جبل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل البرباريس والقنطوريون والرواند والأسفيوس وغير ذلك من الحشائش"[4]

إن الموقع الجغرافي لبجاية صعبة على كل من أراد بها شرا لأن طرقها وعرة وكلها عقاب حيث ذكر الحميري: "وليس لها طريق سهلة إلا من جهة الغرب، ولذلك قال الشاعر:

بجاية كلها عقاب*** حل لمن حلها عقاب

فلم يكن للعرب إليها سبيل، ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث عند الملك لمصانعة على بلاد القلعة وغيرها فيدخلها أفذاذ وفرسان دون عسكر". [5]

---

[1] الحموي، المصدر السابق، ص:339.

[2] أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص:82.

[3] الحميري، المصدر السابق، ص:81.

[4] المصدر نفسه، ص ص:80-81.

[5] المصدر نفسه، ص:81.

صاحب الاستبصار على موقع بجاية البعيد والوعر على العرب الهلالية يقول: "فطلب موضعا يبنى فيه مدينة ولا يلحقه فيها العرب". [1]

لذلك لم يكن للعرب إليها سبيلا.

المطلب الثاني: عوامل سياسية واقتصادية :

- **عوامل سياسية :**

بعد فتح الناصر لبجاية سنة 460هـ كان همه الاستقرار السياسي لأنه رأى أن التحضر والتقدم والازدهار لا يكون إلا إذا كانت دولته في استقرار تام، والذي ولا شك فيه أن بناء بجاية الذي عني بداية عهد الاستقرار والتحضر كان بالنسبة للناصر بداية فترة امتدت قرابة عشرين سنة كان كل همه فيها تحقيق الانتقال بالدولة إلى دور التحضر والاستقرار وكما يبدوا لنا فإن الناصر كان إنسانا مسالما يميل إلى الهدوء ولا يحب الانغماس الكثير في المشاكل السياسية. [2]

وقد أدت هذه السياسية الإقليمية إلى أن يحقق الناصر لدولته وسط هذه الوضعية المظلمة، مستوى متألقا من الحضارة جعل الدولة الحمادية تبدوا وكأنها جزيرة الأمن والمدينة في بلاد المغرب العربي. [3]

تمثل الاستقرار السياسي في نهاية الصراع الزيري الحمادي وذلك بعد وفاة باديس بن المنصور عام 406هـ/1015م وتجسد بشكل أكبر بعد عقد الصلح بين حماد والمعز(408هـ/1017م)، حيث أن حماد وغيره من الحكام كانوا يدركون أن الإبداع الحضاري هو حصاد الاستقرار السياسي، حيث فتح الصلح بالهجرة لكثير من علماء القيروان واستقرارهم بالقلعة . [4]

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ص:129.

[2] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص:137.

[3] المرجع نفسه، ص:138.

[4] جلول صلاح، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي، (رسالة ماجستير)، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2015/02/08، 2015/2014، ص:37.

وبذلك يمك القول أن الأمراء الحماديين سعوا جاهدين منذ قيام دولتهم إلى تحقيق الأمن و الاستقرار في أنحاء الدولة وحتى مع بعض الدول الإسلامية والأوروبية لأجل النهوض والوصول إلى أعلى درجات التطور والرقي.

- **عوامل اقتصادية :**

تعد بجاية مركزا اقتصاديا هاما في العصر الوسيط بالمغرب الأوسط برزت بعد تأسيس الناصر بن علناس لها حيث قال صاحب كتاب معجم البلدان:" إنما هي دار مملكة، تركب منها السفن وتسافر إلى جميع الجهات". [1]

وقال البكري: "بشرفيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهو مرسى مأمون...".[2]

وعلى مرسى بجاية قال صاحب كتاب الروض المعطار: "والسفن إليها متكررة، والسفر إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة وأهلها تجار مياسير، ولها بوادن ومزارع والحنطة والشعير بها والتين كثير وسائرا الفواكه...ويجلب إليها من أقاليمها الزيت الطيب والقطران".[3]

كثرت دور الصناعة ببجاية في العهد الحمادي الثاني حيث تنوعت الصناعات وبرزت صناعة الأساطيل حيث قال الحميري: "وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير...وبها معادن الحديد الطيب وبها من الصناعات كل غريبة...ولها دار لصناعة المراكب وإنشاء السفن...وهي مرسى عظيم تحط فيه السفن من كل جهة".[4]

كانت لبجاية علاقات تجارية داخلية وخارجية مما جعل التجار والمشترين يأتون من كل مكان وهذا من أدى إلى التلاقح بين ساكنة بجاية والوافدين عليها، وكان بنو حماد في وضع تجاري أفضل من بني باديس لما صالحوا العرب على نصف غلة بلادهم، وأعفوا أهل بجاية من الضرائب على التجارة الداخلية إلى المدينة، وكانوا على علاقات طيبة مع المرية أيام بني

---

(1) الحموي، المصدر السابق، ص:339.

(2) أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص:82.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص:81.

(4) المصدر نفسه، ص:81.

صمادح ثم المرابطين، وشجعوا التجارة مع المدن الإيطالية، وحسنت علاقتهم مع المرابطين جعل بجاية من أهم مراكز التجارة في السلع الواردة من السودان. [1]

المطلب الثالث: ثقافية و اجتماعية:

- **عوامل ثقافية:**

بلغت بجاية غي عهد الحماديين درجة كبيرة من التقدم والعمران، واحتلت مكانة مرموقة بين حواضر العلم في المغرب والمشرق، فأمها الكثير من علماء مصر والشام و الأندلس، فانتعشت الثقافة العربية وازدهرت الحركة العلمية حتى قيل أن عدد المفتين فيها بلغ تسعين مفتيا في زمن واحد.[2]

اتبعت الطبقة الحاكمة الحمادية سياسة تشجيع العلم والعلماء لذلك عرف عن أمراء بجاية تقديرهم للعلم وأهله وتشجيعهم للأدباء بنشر الأمن والاطمئنان في نفوس المقيمين فيها، والوافدين عليها، ويضاف إلى ذلك أخلاق البجائيين وحبهم للعلم والعلماء وإقبالهم على العلم والاستفادة من كل مقبل عليهم كيفما كانت منزلته.[3]

يقول محمد الطمار في كتابة "المغرب الأوسط في ظل صنهاجة":" وما إن انتهى الحماديون من تأسيس مدينهم الجديدة(بجاية) في عهد الناصر حتى تقاطر إليها الطبلة والعلماء من كل الأصقاع والجنسيات والأديان، يشهد بهذا شارل سينيوبوس صاحب "تاريخ الحضارة" الذي ذكر أن أهل بيزا الإيطاليين كانوا ينزلون مدينة بجاية، فتعلموا منها صنع الشمع الذي نقلوه إلى بلادهم وإلى أوربا، وبجاية نفسها تعلم "فيينا تشيوا" العلوم الرياضية وعلم الجبر العربي والمقابلة ليدخل كل ذلك إلى أوروبا التي كانت حتى ذلك الحين في غفلة من أمرها. [4]

---

[1] عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن6هـ، دار الشروق، ط1، 1403هـ/1983م، ص:265.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص:7.

[3] مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج2، دار الهدى، الجزائر، ص:81.

[4] محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص:10.

وبهذا نقول أن المهاجرين الوافدين على بجاية بمختلف توجهاتهم وتخصصاتهم أثروا في النهضة العلمية ببجاية، كما تأثروا بعلمائها واكتسبوا معارف ومناهج جديدة بالإضافة إلى تأثرهم بعوائد سكان بجاية.

- **عوامل اجتماعية:**

لعل ازدهار الحياة الاجتماعية في بجاية الحمادية بعد سنة 460هـ كانت وليدة الظروف وعوامل ساعدتها على التحضر والتقدم وهنا نجد أن سبب الأزمات الاجتماعية التي أصابت المناطق الداخلية والتي كان من نتائجها إعادة بناء مدن قديمة عرفت تطورات مهمة خلال المرحلة الأخيرة من العصر الوسيط.[1]

هاته الظروف عملت على إحداث قفزة نوعية من خلال ظهور حاضرة جديدة على البحر، وهنا تنتقل السيادة من الداخل إلى الساحل. [2]

اتبع العرب أساليب في الاندماج مع البربر خاصة في الحروب وهذا عن طريق المصاهرة، أو في العادات الاجتماعية خاصة. [3]

صنهاجة تحتل المكان الذي تحتله الأسر الكبيرة التي مارست الحكم والشعور بالفوقية يسود هذه الأسر على قول ابن خلدون:" من أوفر قبائل البربر حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر" وتنقسم هذه القبيل إلى بطون عديدة بلغ عددها سبعين بطنا أهمها تلكاتة بطن الزيريين والحماديين ولمتونة ومسوفة بطنا المرابطين. [4]

سياسة المصاهرة التي انتهجها أمراء الدولة الحمادية وأبرز مثال على ذلك بنت تميم تزوجت الناصر ابن عمه، وفي هذا الشأن يقول ابن عذارى: " وفي سنة 470هـ اصطلح تميم

---

(1) علاوة عمارة، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط(مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية)، العدد26، قسنطينة، الجزائر، 2006، ص:228.

(2) جلول صلاح، المرجع السابق، ص:34.

(3) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص:28.

(4) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:6.

بن المعز والناصر ابن عمه، وزوجه بنته بلارة، وجهزها إليه من المهدية في عساكر عظيمة ومال وأسباب وذخائر. [1]

❖ **المبحث الثاني: سكان المجتمع الحمادي :**

المطلب الأول: العناصر السكانية و أشهر القبائل:

يرجع أصل السكان في بجاية الحمادية إلى القبائل البربرية التي استوطنت المغرب منذ العصور القديمة وهذا ما نجده في قول ابن خلدون:" هذا الجبل من الأدميين هم سكان المغرب القديم ملؤوا البسائط والجبال من تلوه وأريافه وضواحيه وأمصاره".[2]

وأيضا نجد السلاوي رأيه من رأي ابن خلدون حيث قال: "اعلم أن البربر أمة عظيمة ملأت ما بين برقة والبحر المحيط شرقا وغربا، وما بين بلاد السودان والبحر الرومي جنوبا وشمالا ومع عظمها فيجمعها شعبان عظيمان لا يخرج بربري عنها".[3]

ويمثلون سكان المغرب الأقدمين، وقد ملأ سهوله، وأريافه وضواحيه وأمصاره وجباله، وتلوله، ويبتسمون فيها يزعم نسابتهم إلى جد أعلى يسمى مازيغ بن كنعان بن حام، ويميز النسابة العرب بين جاذمين كبيرين منهم يختلفان في نوع الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

الجذم الأول وتسمى قبائله البرانس، والجذم الثاني وتسمى قبائله البتر. [4]

وعند نسابة البربر صنهاجة من بطون البرانس من ولد برنس ابن بر بينما المؤرخون العرب مثل الطبري والكلبي يذكرون أنهم وكتامة جميع من حمير مؤسس الدولة الحميرية في اليمن. [5].

---

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح وتص: ج.س كولان وليفي بروفينسال،دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، ص:300.

(2) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص:116.

(3) أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص:36.

(4) موسى لقبال، المرجع السابق، ص:17.

(5) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:6.

ينقسم بربر البرانس إلى عدة قبائل كبرى هم: كتامة، صنهاجة، وعجيسة، ومصمودة، وأوربة، وأزداجة، وأوريغ، ولكل هؤلاء بطون عظيمة جدا [1]، أما القبائل البتر تتكون من أربعة أجذام فهم: أداسة، ونفوسة، وضربه، وبنو لو الأكبر.[2]

تواجد العنصر العربي في أوساط العالم بعد الفتوحات الإسلامية خاصة و في المغرب الإسلامي، فقد شهد توافد عربي كبير على مناطقه من بينها بجاية كما ساهم وجود العرب في هلال وسليم ببجاية في إثراء عدة جوانب من حياة البجائيين فهؤلاء العرب الذين بدأ تواجدهم بالمغرب الإسلامي منذ سنة 460هـ اكتسحوا إفريقية بحجة الانتقام لبني عبيد ، فلم تسلم بجاية منهم، لكن بالرغم من هذا إلا أن بني هلال كان لهم دور فعال في تعريب البلاد حسب قول الشيخ الإبراهيمي: " أن بني هلال ضربوا ولكنهم عربوا". [3]

وفي المغرب الإسلامي نجد تواجد العنصر الأندلسي أيضا نتيجة الغزو الصليبي والقوط وهذا ما نجده في قول عبد الواحد المراكشي: "ثم انتقل أهلها إلى دين النصرانية حين ظهر على أيدي أصحاب المسيح ، " والهجرة جاءت نتيجة لسقوط بعض المدن الأندلسية مثل إشبيلية وطليطلة وفي هذا قال المراكشي: "فأخرجوهم عن الجزيرة وألحقوهم برومية مدينتهم العظمى...".[4]

إذا نفسر تواجد العنصر الأندلسي بالمغرب نتيجة للاحتياج الخارجي وسقوط بعض القبائل جعل الأندلسيين يهاجرون للمغرب الإسلامي وهذا ما أدى إلى تواجد العنصر الأندلسي في المغرب عبر القرون.

إلى جانب العناصر المتوافدة على بجاية في العصر الوسيط نجد أيضا الرومي وهذا ما شهده القرن السادس من حركة تجارية واسعة في الرقيق الرومي وكانت بجاية المركز الرئيسي

---

(1) محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي : جهرة أنباء العرب، تح وتع: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص:495.

(2) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق ، ص:118.

(3) أمينة بوتشيش، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين(رسالة ماجستير)، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/11/11، 2008/2007، ص ص:55-56.

(4) محي الدين أبي محمد عبد الواحد ابن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة بريل، لندن، ص:266.

لهذه التجارة، وكان الميورقيون وسطاءها ولهم سفرتان إلى بلاد الروم يجلبون فيها العبيد فيبيعونهم في بجاية ويدل على كثرة المجلوب إلى بجاية أن أهلها فتحوا أبواب مدينتهم في 581هـ/1185م حينما جاء اسحق ابن غانية غازيا للمدينة ظنا هل بجاية أن مراكب العسكر هي رقيق ميورقة وقد وصل فلا يستغرب بعد هذا أن امتلأت أيدي الميورقيين أموال من هذه التجارة كمالا سيد أن تباع بيضاوان من الروم بسوداء ، ويصبح العبد الرومي في المغرب أرخص من العبد التركي في المشرق بعد أن كان الحال خلاف ذلك أيام الاستخري. [1]

❖ **المبحث الثالث: فئات المجتمع :**

المطلب الأول: الطبقة الحاكمة:

وتُعرف بالطبقة الخاصة:

- **الأمير الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1088م):**

الأمير الناصر بن علناس خامس ملوك بن حماد وأعظمهم ملكا وأبعدهم صيتا، وهذا ما قاله عنه ابن الخطيب في كتابه أعلام الأعلام:" وكان الناصر جريئا على سفك الدماء، شديد الغيرة على النساء وله في ذلك أخبار مشهورة". [2]

كان الناصر قد قتل بلقين بن محمد وخلفه على رأس الدولة الحمادية وذلك في سنة 454هـ/1062م [3] ، وهذا ما أخبرنا به ابن خلدون حيث قال: " وتوغل بلكين في ديار المغرب ونزل بفاس واحتمل من أكابر أهلها وأشرافهم رهنا على الطاعة وأنكفأ راجعا إلى القلعة فانتهز منه الناصر ابن عمه الفرصة في الثأر بأخته، ومالاه قومه من صنهاجة لما لحقهم من تكلف المشقة بأبعاد الغزو والتوغل في أرض العدو، فقلته بتسالة [4] سنة أربع وخميس وأربعمائة وقام بالأمر من بعده". [5]

---

[1] عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص ص:118-119.

[2] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:96.

[3] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:58.

[4] تسالة، قرية تقع جنوبي وهران، أنظر :رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:57.

[5] عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص:229.

إن أول شيء قام به الناصر بن علناس هو تنظيم الدولة الحمادية فقسمها إلى ستة أقسام وولى أقاربه عليهم، أستوزر أبا بكر بن أبي الفتوح ، وعقد على المغرب لأخيه كباب وأنزله مليانة وعلى حمزة لأخيه رومان، وعلى نقاوس لأخيه فزر، وكان المعز قد هدم سورها فأصلح الناصر وعقد على قسنطينة لأخيه بلباز وعلى الجزائر وسوس الدجاج لابنه عبد الله، وعلى آشير لابنته يوسف. [1]

وبهذا نجح الناصر بن علناس في سياسته الداخلية التي انتهجها بغية أن يسود البلاد الاستقرار والاطمئنان والازدهار الحضاري للدولة الحمادية وبلغت أوج مجدها ورقيها وتوسع ملكهم فيذكر ابن خلدون: "في أيام الناصر هذا عظم شأنهم، فبنى المباني العجيبة المأنقة وشيد المدائن العظيمة ورد الغزو إلى المغرب وتوغل فيهم". [2]

بفضل جهود الناصر الذي بسط نفوذ على الغرب الأوسط نجد أيضا أنه انتقل إلى إفريقية فاستولى على عدة مناطق مثل: صفاقس، وقسطيلة وتونس، وهنا نجد أن الأمير الحمادي الناصر بن علناس قد امتدت سياسته داخل المغرب الأوسط وحتى خارجه إلى المغرب الأدنى أو ما يسمى بإفريقية. [3]

سمع تميم أن الناصر يقع في مجلسه ويذمه وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية وأنه حالف بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية، فلما صح ذلك عنده أرسل إلى أمراء بني رياح فأحضرهم إليه لمقابلة عساكر الناصر وجدث ذلك في سنة 457هـ/1065م بسهل سبيبة بين القيروان وتبسة ولكن الناصر انهزم في هذه المعركة بسبب خيانة القبائل التي انضمت إليه. [4]

من نتائج معركة سبيبة الصلح الذي وقع بين الناصر مع أبناء عمومته بإفريقية حيث أرسل وزيره أبي بكر بن أبي الفتوح رسولا إلى تميم يعرض عليه إصلاح ذات البين بين الدولتين، فقبل هذه المبادرة و أرسل سفيرا يدعي محمد بن البعبع إلى الناصر وعند وصول السفير إلى قلعة بني حماد سلم كتاب تميم إلى الناصر وانفرد بالأمير الحمادي وقال له:" يا

---

(1) المصدر نفسه، ص ص:229-230.

(2) المصدر نفسه ، ص:232.

(3) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:60.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ص:372، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص:299.

مولاي إن الوزير أبا بكر لا يخفي عن تميم أمورك شيئا وأشير عليك بوسيلة تمكنك من امتلاك المهدية وغيرها، وأشار عليه ببناء بجاية". [1]

وتمكن الناصر بن علناس من اختطاط مدينة بجاية وأطلق عليها اسم الناصرية[2] ، وأبت إلا أن تدعى باسمها القديم سنة 460هـ/1067م وانتقل إليها في العام الموالي، حيث أسقط الخراج على أهلها وشيد بها القصور والمباني ونقل إليها الناس. [3]

ذكر ابن خلدون أن الناصر توفي 481هـ/1088-1089م بعدما تولى الأمر سبع وعشرين سنة، فخلفه ابن المنصور[4]، أما ابن الخطيب فقال: " وتوفي الناصر يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى،(وقبل جمادى الأخيرة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة بقصره بظاهر بجاية، فدفن بها، وولى بعده ولده المنصور. [5]

- **الأمير المنصور بن الناصر بن علناس(481-498هـ/1088-1105م):**

كان المنصور ابن إحدى عشرة سنة عندما خلف أباه الناصر على العرش الحمادي وعلى قول ابن الأثير ومجمله :" كتب الملوك ورسلهم بالتعزية أبيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز وغيرها".

وأضاف صاحب الكامل في التاريخ أن الأمير الحمادي السادس" اقتفى آثار أبيه في الحزم والعزم والرئاسة" [6]، وعلى المنصور قال ابن الخطيب: "وللمنصور بن الناصر بن علناس آثار عظيمة وقصور شامخة ، وأخبار شهيرة، وتحرك إلى المغرب وقد صارت تلمسان إلى ملك المرابطين في جيوش عظيمة، اشتملت على اثني عشرة مجلة، في شوال سنة ست وتسعين وأربعمائة، ونازل تلمسان، ثم أقلع عنها صلحا وأيضا قائما على أمره حميد الخلال، ضابطا للأمور يكتب ويشعر ويذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور من رقع الثياب

---

(1) الحموي، المصدر السابق، ص:339.

(2) دومينيك فاليرين، المرجع السابق، ص:58.

(3) محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص:114.

(4) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:73.

(5) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:97.

(6) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:73.

والتحفظ على القليل من الأشياء وعليه قدم عز الدولة بن صمادح لما فر من المربية أمام المرابطين، أقطعه تدلس [1] ونظرها و أسكنه بها، حسبما هو معروف".[2]

وعلى المنصور بن الناصر قال ابن خلدون: "ونزل بجاية سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وأوطنها بعساكر،فاتخذ بجاية هذه معقلا وصيرها دارا لملكه، وجدد قصورها وشيد جامعها، وكان المنصور هذا جماعة مولعا بالبناء وهو الذي حضر ملك بني حماد وتأنق في اختطاط المباني وشيد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام وفي بجاية قصر اللؤلؤة وقصر أميمون".[3]

وفي أيامه أصبحت بجاية من أهم المدن المغربية وأوسعها عمرانا وأكثرها رخاءا ازدهار في مجمل الحياة الحضارية حتى سنة 498هـ فيما مات المنصور بن الناصر بن علناس صاحب بجاية والقلعة وما والاهما، وولى بعده ابنه باديس.[4]

- **الأمير باديس بن المنصور(498هـ/1105م):**

بعد وفاة المنصور خلفه ابنه باديس على العرش الحمادي، فكان باديس على قول ابن خلدون: "شديد البأس عظيم النظر، فنكب عبد الكريم بن سليمان وزير أبيه لأول ولايته وخرج من القلعة إلى بجاية فنكب سهام عامل بجاية".[5]

يُكنى أبا معد وكان شديد البأس عظيم السطوة، سريع البطش، فيحكى من جملة فظاظته أنه ألقى رجلا صالحا إلى الأسود، فبات ليلته معها، وأصبح لم تعد عليه، وكانت وفاته ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، ويقال أن أمه سممته لأنه كان يهددها ويتوعدها، وقد ذكر مثل ذلك في الهادي من بني عباس وولى بعده العزيز أخوه.[6]

---

(1) تدلس: بفتح التاء والدال وتشديد اللام، مدينة الجزائر على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وكانت تابعة لدولة بني حماد، وهي التي أقطعها المنصور لمعز الدولة بن صمادح، أنظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:97.

(2) المصدر نفسه، ص:97.

(3) عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص:232.

(4) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص:302.

(5) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:79.

(6) ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص:98.

- **الأمير العزيز بن المنصور بن الناصر(498-505هـ/1105-1121م):**

كان باديس عزل أخاه العزيز عن بجاية وغربه إلى جيجل بعد وفاته أرسل القائد علي بن حمدون رسولا إلى العزيز فرجع إلى بجاية وخلف أخاه باديس على العرش الحمادي.[1]

يقول ابن خلدون: "وهو الذي استوطن بجاية من بعد ولايته شرعت القلعة في الخراب، وكان حسن الخلق معتدل الطريقة، كاتب ملوك زمانه وسالمهم، فكانت أيامه أعيادا لحسنها وجمالها، وأيضا وله في ملكه آثار عظيمة ومبان رقيعة، وكان يعرف بالميمون لولادته ليلة ولاية أبيه".[2]

ويتسلم العزيز إمارة الدولة الحمادية، وهو في السابعة عشرة من عمره، عادت سياسة الناصر بن علناس تقود الدولة من جديد، ويكاد العزيز أن يكون مجرد امتداد لأبيه وجده الناصر في تحديد علاقة الدولة بجاراتها وفي النمو بها. [3]

بدأ العزيز يتقرب لكل الأطراف الموجودة بالمغرب العربي فقد صالح زناتة واتبع نفس الأسلوب الذي اتبعه أبواه معها من قبل، فأصهر إلى ماخوخ فأنكحه ابنته، كما أنه تقرب من أبناء عمومته في المهدية ولم يرد أي خلاف بينهما طيلة حكمه [4]، وملكت أساطيله جربة، ونازلت جيوشه تونس، فخضع له صاحبها أحمد بن عبد العزيز الخرساني، وبنو خرسان قبل أنهم صنهاجيون وطالب مدته، فنالت الدولة على عهده أمنا ورقيا وعلما. [5]

ومن الأحداث العامة التي وقعت في عهد العزيز نذكر الغزو الحمادي لأفريقية وهجوم بن هلال على قلعة بني حماد ومرور ابن تومرت بالمغرب الأوسط وغزو قلعة زرعة.[6]

وعلى هجوم بني هلال على قلعة بني حماد قال ابن خلدون:" وكبس العرب في أيامه القلعة وهم غارون فاكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهرها وعظم غيثهم".

---

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:80.

(2) ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص:99.

(3) عبد الحليم عويس ، المرجع السابق، ص:148.

(4) المرجع نفسه، ص:149.

(5) مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتص: محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية لكتاب، ص:245.

(6) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:80.

وأيضا قال على مرور ابن تومرت بالمغرب الأوسط: "وهكذا كان وصول مهدي الموحدين إلى بجاية قافلا إلى المشرق سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وغير بها المنكر" وعلى تدريسه قال ابن خلدون أيضا: "ونزل عليهم بملالة وأقام بها يدرس العلم، وطلبه العزيز فمنعوه وقاتلوا دونه إلى أن رحل عنهم إلى المغرب".[1]

وهلك العزيز سنة خمس عشرة وأربعمائة فولى من بعد ابنه يحي. [2]

- **الأمير يحي بن عبد العزيز(515-547هـ/1121-1152م):**

بعد وفاة العزيز خلفه ابنه أبو زكريا يحي على العرش الحمادي [3]، وكان يحي بن العزيز فاضلا حليما، فصيح اللسان والقلم مليح العبارة، بديع الإشارة، كان مولعا بالصيد، مغرما به، كلف بالملهين، يحضر منهم عهده نحو العشرين، بين رجل وامرأة من شيوخ وعجائز وحمقى، فكان يستلقى في بيته على الفراش الوسيرة الحشايا، ويستدعى المضحكين وجوارح الصيد، فيختبر هذا البازي ويتفقد هذا الكلب، ويستنهض هذا المضحك في النوع الذي سلكه، فيلهيه ويضحكه، له ثلاث أخوات: تقسوط، أم ملال، وشبلة، كن يجلسن أبدا بين يديه في زي العرائس من الحلي والملابس. [4]

وعلى الأمير يحي بن العزيز قال ابن خلدون:" وطالت أيامه مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد على حين انقراض الدولة وذهاب الأيام بقبائل صنهاجة واستحدثت سكة ولم يحدثها أحد من قومه أبدا مع خلفائهم العبيديين. [5]

من الأحداث الهامة التي وقعت في الفترة الأولى عهد يحي بن العزيز نذكر زيارة الأمير الحمادي لقلعة بن حماد وقمع ثورة أهل توزر والهجوم على المهدية وغزو تونس والهجوم الثاني

---

(1) عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص:243-235.

(2) المصدر نفسه، ص:235.

(3) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:91.

(4) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:99.

(5) عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق ، ص:235.

على المهدية والهجوم الزيري على مركب حمادي وغزو جيجل وبرشك من طرف الأسطول الصقلي. [1]

ووصل سنة ثلاثة وأربعين وخمسمائة إلى القلعة لافتقادها ونقل ما بقي بها، وهذا على حد ما قاله ابن خلدون على دخول الأمير يحي قلعة بني حماد [2].وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة أخذ مليانة وفيها فتحت مدينة بجاية ملك بني حماد بعد محاصرتها ونزل صاحبها بالأمان فأمنه ونقله بأهله إلى مراكش وانقرضت دولتهم وملك عبد المؤمن جميع ما بأيديهم مثل بونة وجزائر بني مزغنة " وهي مدينة الجزائر اليوم وقسنطينة وغيرها ورجع إلى مراكش.[3]

هكذا انقضت أيامه إلى أن توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة. [4]

المطلب الثاني: الطبقة الوسطى:

وهي طبقة متكونة من التجار الميسورين، وفي جل الكتابات التاريخية نجد أن المؤرخين قد أهملوا أسماء الرجال التجار الذين نشطوا خلال العهد الحمادي وهنا سنتطرق إلى مختلف الأنشطة التي مارسها البجائيون.

أجمع المؤرخون الجغرافيون على أن المغرب الأوسط كان مزدهرا في عهد بني حماد سواء في ميدان الفلاحة أو تربية الحيوانات أو الصيد أو الغابات أو الصناعة أو التجارة. [5]

- **صناعة الأساطيل و السفن:**

نظرا لأهمية موقعها فقد أنشأ فيها الأمير الناصر دار لصناعة الأساطيل الحربية والتجارية وخاصة الثانية الذي أكثر منها كان من بينها الأساطيل الضخمة ذات الجوانب العالية والساريتين المجهزتين بقلوع فخمة، وهي امتداد السفن التجارية القديمة في البحر المتوسط إلى جانب المراكب والسفن مثل الحرابي، والشلنديات والأغربة والطرائد، والشينيات، وهذا يرجع إلى

---

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:92.

(2) عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق،ص:235.

(3) أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمدية، ط1، 1286، ص:111.

(4) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:100.

(5) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:129.

توافر الخشب مع وفرة المعادن ووجود الزفت لطلاء السفن ووفود الخبراء من الأندلسيين ووجود الأيدي العاملة من أهل البلاد.[1]

وبهذا الصدد يقول الإدريسي: "وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي" وأيضا "...وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة... ".[2]

- **الفلاحة:**

كان الحماديون يهتمون خصوصا بفلاحة القمح والشعير اللذين كانا موجودين في المغرب الأوسط كله وبالأخص في نواحي قسنطينة وقلعة بني حماد وباغاية وطبنة وبونة وجيجل وسطيف وبجاية والجزائر ومتيجة وشرشال وبرشك وبنطيوس.[3]

ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار وجميع الخيرات وهي مشرفة ترجمة ومطلة على البحر وعلى فحص وقد أحاطت به جبال دوره نحو 10 أميال، تسقيه أنهار وعيون، وفيه أكثر بساتين ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين ، أو دونهما، وعليه كثير من جناتهم قد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر وله منزه عظيم.[4]

وقال الحميري: "وهذا الجبل أمسيول هو كثير البساتين وكثير القردة وفيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب".[5]

وببجاية جملة من النباتات التي تستخدم في الطب حيث قال الإدريسي: "...وفي أكنافه جبل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحضض".[6]

---

(1) صالح أبو دياك، مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع إلى القرن الثامن هجري، أبحاث اليرموك، ص ص:219-220.

(2) الإدريسي، المصدر السابق، ص:260.

(3) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:129.

(4) مجهول، المصدر السابق، ص:130.

(5) الحميري، المصدر السابق، ص:82.

(6) الإدريسي، المصدر السابق، ص:259.

- **التجارة:**

كان لبجاية تجارة خارجية حيث قال صاحب الاستبصار: " ومنها تغزا بلاد الروم فإنها ليس بينها وبين صقلية غير 3مجار وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية يطرق بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها". [1]

وأيضا قال الحموي: " تركب منها السفن وتسافر إلى جميع الجهات"[2]، كما كانت لبجاية تجارة داخل المغرب الأوسط حيث ذكر رشيد بورويبة، وذكر صاحب كتاب الاستبصار أن عنب جيجل كان يحمل إلى بجاية.[3]

كان التين موجودا بنواحي بجاية وشرشال ومرسى الدجاج وتاجنة على مرحلة من مدينة تنس فذكر الإدريسي أن بتاجنة"جشرة التين كثير جدا ويعمل بها من التين شرائح على مثال الطوب، وبذلك تسمى وتحمل منها إلى كثير من الأقطار، وأن تين مرسى الدجاج، يحمل منها شرائح طوبا ومنثورا إلى سائر الأقطار وأقاصي المدائن والأمصار".[4]

كانت البضائع تباع في أسواق المدن والقرى، كان لبجاية خمسة أسواق وهي: سوق الصوف وسوق القيصرية وسوق باب البحر وسوق يقع قرب حومة المذبح وبه كان القراصنة الحماديون يبيعون أسراهم وسويقة ذكرها المراكشي فقال: " أن عبد المؤمن مر في طريقه راجعا من إفريقية ببجاية فدخل البلد منتزها فيه فمر بسويقة بناحية باب من أبوابها يسمى باب تاطنت". [5]

المطلب الثالث: الطبقة العامة.

تتكون هذه الطبقة من الأدباء وطبقة العلم وعامة الناس، لقد عرف عن أمراء بجاية تقديرهم للعلم و أهله وتشجيعهم للأدباء بنشر الأمن و الاطمئنان في نفوس المقيمين فيها،

---

(1) مجهول، المصدر السابق، ص:130.

(2) الحموي، المصدر السابق، ص:339.

(3) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:131.

(4) المرجع نفسه، ص:132.

(5) المرجع نفسه، ص: 149.

والوافدين عليها ويضاف إلى ذلك أخلاق البجائيين وحبهم للعلم والعلماء وإقبالهم على السماح الاستفادة من كل مقبل عليهم كيفما كانت منزلته. [1]

أصبحت بجاية مقصدا لطلاب العلم حيث قال ابن خلدون: "ورحل إليها من الثغور والقاصية، والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصانع للنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها".[2]

من الشعراء الوفدين على بجاية نجد ابن فكاه القيرواني الذي أخبرنا عنه ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام.[3]

نظرا للأهمية التي عرفتها علم القراءات في العالم الإسلامي، فإننا نجد علماء المغرب الإسلامي عموما وعلماء بجاية على وجه الخصوص فقد اهتموا بالقرآن الكريم وعلومه فكانوا يتدارسونه في المساجد والمدارس والكتاتيب ومن أجل المحافظة على حفظه كانوا يقرؤون عدة أحزاب يوميا ومن بين الشخصيات التي برعت في علم القراءات نجد أبو العباس أحمد بن عبد الله المعافري. [4]

ونجد أيضا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي القلعي، فقيه وأستاذ نحوي لغوي، من قلعة بني حماد كان جده ميمون قاضيا بها، نشأ بالجزائر وقرأ بها وانتقل إلى بجاية مستوطنا، وبها قرأ وبرع ولقي بها مشايخ منهم الشيخ أبو الحسن الحراني، والفقيه أبو الحسن ابن أبي نصر والفقيه أبو بكر ابن محرز، والفقيه أبو المطرف ابن عميرة وأبو زيد ابن السطاح وغيرهم. [5]

وأيضا أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي و دخل بجاية قبل أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي القلعي، وهو فقيه فاضل ، عالم عامل عابد، كان يسمى أبا حامد

---

(1) مختار حساني، المرجع السابق، ص:81.

(2) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص:227.

(3) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:96.

(4) جلول صلاح، المرجع السابق، ص:65.

(5) الغبريني، المصدر السابق، ص:67.

الصغير، جمع بين العلم والعمل والورع له العديد من المصنفات، دخل بجاية وتولى القضاء فيها. [1]

كما نجد الشاعر ابن حمديس الصقلي و هو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الأزدي ولد في سرقوسة بجزيرة صقلية سنة 447هـ/1055م، ثم سافر إلى الأندلس واتصل بالمعتمد بن عباد، ومدحه ثم استقر ببجاية حيث أصبح شاعر المنصور بن الناصر. [2]

أبو حفص عمر بن فلفول كان كاتبا في عهد العزيز بن منصور ثم في عهد يحي بن العزيز. [3]

أبو الطاهر عماره عاش في القرن السادس، فقال الغبريني في حديثه عنه له علم وأدب وفضل ونبل، قضى في بعض النواحي ببجاية وكان متقدما في علم العربية والأدب وله تأليف في علم الفرائض منظوم وتواشيحه في نهاية الحسن وبها يضرب المثل وقد ذكر لي أن شعره قد جمع في ديوان ولكني لم أطلع عليه وقد رأيت بعض قطع مستحسنة من شعره. [4]

المطلب الرابع: طبقة العبيد والإماء:

نتيجة للحركة التجارية التي شهدها القرن السادس لتجارة الرقيق الرسمي في بجاية ناهيك عن العبيد السود، حيث كان الميورقيون وبسطاءها ولهم سفرتان إلى بلاد الروم يجلبون فيها العبيد فيبيعونهم في بجاية كما لا يستبعد أن تباع بيضاوان من الروم بسوداء، فيصبح العبد الرومي في المغرب أرخص من التركي في المشرق . [5]

- **مهنتهم:**

تعددت مهن العبيد كتنوع عناصرهم، فالجواري منهم إماء خدمة أو متعة وفي هذا قال ابن الآبار في كتابه الحلة السيراء: "ذا كلف بالنساء، فاستوسع في اتخاذهن، وذلك في أجناسهن،

---

(1) المصدر نفسه، ص ص:33-34.

(2) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:176.

(3) المرجع نفسه، ص:182.

(4) المرجع نفسه، ص:187.

(5) عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص ص:118-119.

فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه، فقيل أنه خلف من صنوفهن السريريات خاصة نحوا من سبعين جارية".[1]

ومن مظاهر المتعة ازدهار تجارة تعليم القيان الطرب ثم بيعهن وعلى الرغم من تشدد الموحدين في منع اللهو فقد كانت تجارة القيان المطربات رائجة مما اضطر المنصور لقطعها في أواخر أيامه، واتخذت بعض الإماء أمهات أولاد ومن أولاد بعضهن أمراء مرابطون وخلفاء موحدون.

كان العبيد يقومون بأكثر الخدمة في مجتمع القرن السادس لأن الطبقات القادرة على تملك العبيد تستنكف أن تؤدي أعمالها بنفسها إلا من قصه البراءة من الكبر ورعا، وقليل ما هم، إلى جانب الخدمة المنزلية نجد العبيد السوء يعملون في الزراعة في البلاد الشرقية ، ونجد السود والبيض من العبيد في الصناعة والتجارة هذا بالإضافة لعملهم في الجندية سواء أكانوا روما أم سودا، وبفرض عملهم في جميع ضروب النشاط الاقتصادي التساؤل عن وضعهم ومعاملتهم.[2]

وهكذا كان لكل من هذه العناصر المختلفة الأجناس دور فعال في تعمير بجاية وإنعاش الحاضرة بها بسبب التواصل الثقافي والحضاري والاقتصادي الذي سالم في إيصالها إلى قمة التطور، فأضحت من كبريات الحواضر الإسلامية. [3]

المطلب الخامس: دور المرأة في المجتمع

كانت مليئة بالنشاط والحيوية بحيث كانت تخرج للأسواق والأودية قصد السقي والغسيل و إلى الحمامات وزيارة الأقارب، إن المرأة كانت مضطرة في أحيان كثيرة للذهاب إلى الأنهار إما للسقي أو غسل الملابس، وكان هذا منتشرا في أغلب مناطق المغرب الإسلامي، ولم يمنع ذلك وجود الرجال إلا أن الفقهاء حثوا على الفصل بين الجنسين في منطقة واحدة من النهر، فقد

---

(1) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار(ت658هـ)، الحلة السيراء في أشعار الأمراء، تح و تع: حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، ص:43.

(2) عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص:120.

(3) أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص:58.

نهى بعض الفقهاء عن ذلك في أكثر من موضع بقولهم:"يجب أن يمنع أن يجلس النساء على ضفة الوادي في فصل الصيف إذا ظهر الرجال فيه".

كما عرف المجتمع الحمادي تنظيم كوجود حمامات خاصة بالنساء وأخرى للرجال أو حمام مشترك ولكل منها أوقات خاصة به للرجال وأوقات خاصة بالنساء. [1]

كانت المرأة في الدولة الحمادية تُقتل سواء كانت أميرة أو من عامة الناس بسبب الغيرة على شرف رجالهم ،العشيرة كانت تريد حفظ وصيانة شرفها وعرض نسائها ومثال هذا حماد حين انهزم أمام ابن أخيه باديس، فهرب من جنده وخاف على نسائه أن يقعن في أيدي الجند، فتخلص منهن ومضى إلى معقله ووقف باديس عليهن قتيلات. [2]

و على الرغم من المصير المؤلم الذي لحق أميرات لبلاط الحمادي تعزيز علاقات السلم و الأمن بين أبناء العمومة بفضل زواجهن بهم وهذا طيلة فترة الحكم للناصر والمنصور وعبد العزيز.[3]

لم تتمتع المرأة بقدر كافي من الحرية لتؤهلها لأداء أدوار فعالة داخل مجتمعها وهذا راجع لعدة أسباب منها:

- ✓ الوضع السياسي المضطرب الذي مرت به المغرب خلال تلك الفترة إذ شهد صراعات بين الزيريين والحماديين وبين الحماديين والمرابطين بالإضافة إلى توافد القبائل العربية على بلاد المغرب وما كان لها من انعكاس على مجريات الأحداث به .
- ✓ ظاهرة القسوة والعنف التي امتاز بها بعض ملوك بني حماد ولربما هذا راجع لجو الانقسامات والنزاعات عن السلطة إذ ساهم ذلك في تشكيل نفسية الكثير منهم حتى أصبح

---

(1) محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية ببجاية في عهد الموحدين إلى الاحتلال الإسباني(6هـ-10هـ/12-16م)،أطروحة دكترواه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010/2009، ص:97.

(2) البكري، المصدر السابق، ص ص:187-188.

(3) عبد القادر بوعقادة وآخرون، طبقات مجتمع المغرب الأوسط قراءة في الموروث والذهنيات، الجزائر، 2018، ص:84.

العنف سمة من سماتهم فهذه الأسباب شكلت عائق أمام المرأة وأدت إلى تراجع وتضاؤل دورها داخل المجتمع. [1]

[1] المرجع نفسه، ص ص:84-85

الفصل الثالث : المظاهر الاجتماعية والعمرانية ببجاية الحمادية

❖ أولا: مظاهر الحياة الاجتماعية

I. الأكل.

II. اللباس.

III. المناسبات

IV. الآفات الاجتماعية في العهد الحمادي الثاني.

❖ ثانيا: المنشأت العمرانية

I. الأسوار و الأبواب

II. القصور.

III. المساجد.

IV. الأضرحة والقبور.

❖ المبحث الأول: مظاهر الحياة الاجتماعية :

المطلب الأول: المأكولات:

قال الإدريسي: " ولها بوادن ومزارع والحنطة والشعير بها موجودان كثيران والتين وسائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد ". [1]

وقال صاحب الاستبصار: "ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار وجميع الخيرات". [2]

ومنه نستنتج أم أهل بجاية كانت مأكولاتهم من الحنطة والشعير المزروع في أرضهم، وأيضا من الفواكه الموجودة بكثرة بأنواعها والأثمار التي اهتموا بها وأكثروا من البوادي والمزارع والبساتين، بالإضافة اللحم والتمور و الزيت والسمن والعسل، وفيما يخص الأطعمة يوجد طعام وهو"المركاز" الذي ذكره علي ابن الزيتوني الشاعر وجاء في تعليق هذه الكلمة "المركاز" النقانق بلغة أهل المغرب وهي الضفادع أو الغزلان تحشى باللحم المدقوق وتُغلى". [3]

أكلوا أهل بجاية اللحوم بما أنها منطقة رعوية انتشرت بها مختلف الدواب من غنم وبقر وغيرها من النعام [4] ، ولكثرة وجود الجبال والأدوية ببجاية عثرت تربية النحل الذي وفر للساكنة العسل والشمع الذي استخدموه في صناعة الشمع ولكثرته وحسن جودته نال شهرة كبيرة في الأسواق حتى تاجروا به وأصبح عالمي معروف بشموع بجاية ومنها تعلم الأوروبيون صناعة الشمع ونقلوه إلا بلادهم وكان يستخدم في إضاءة القناديل في ذلك العصر. [5]

المطلب الثاني: الملابس:

لبس أهل بجاية مختلف الألوان وأنواع الأقمشة وهذا راجع لرواج الصناعة النسيجية بالمنطقة، ففي مطلع القرن 6هـ/12م زار الإمام الروحي للموحدين "محمد بن تومرت" بجاية ولاحظ تشبه ملابس الرجال بملابس النساء فنهى عن هذه الألبسة حسب ما جاء في البيذق

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص:260.

[2] مجهول، المصدر السابق، ص:130.

[3] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:162.

[4] أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص:59.

[5] صالح أبو دياك، المرجع السابق، ص:225.

حين يقول عنه أنه: "كان ينهى الناس عن الأقراق الزرارية ولباس الفتوحيات للرجال ويقول لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام". [1]

وإلى جانب هذا نجد أنه كان للملوك صنهاجة عمائم شرب ممذهبة يغلون في أثمانها، تساوي العمامة الـ500دينار والـ600 دينار وأزيد، وكانوا ينسجونها بأتقن صنعة فتأتي تيجانا، وكان ببلادهم صناع لذلك بأخذ الصناع على تعميم عمامة منها دينارين وأزيد، وكانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم يسمونها الرؤوس، يعممون عليها تلك العمائم. [2]

كانت نساء الولاة أو النساء من عائلة الأمراء تلبسن لباس العرائس وهذا ما وجدناه عند أخوات الأمير يحي بن العزيز حيث قال ابن الخطيب: "له ثلاث أخوات تقسوط، أم ملال، وشبلة، كن يجلسن أبدا بين يديه في زي العرائس من الحلي والملابس". [3]

المطلب الثالث: المناسبات:

- **الاحتفال بالعيدين: (عيد الفطر وعيد الأضحى):**

وكان الحماديين من المجتمعات التي اختفلت بالعيدين(الفطر والأضحى)، وكان الأمراء الحماديون يخرجون في العيدين للصلاة بالناس لكن الغريب في الأمر أنهم كانو لا يصلون معهم في حجرة واحدة بل مفصولين عنهم في مقصورات خاصة على عادة العبيديين. [4]

- **الزواج:**

قامت بعض النساء بدور الوساطة السياسية وهذا بفضل المصاهرة والزواج، فقد شاع في العهد الزبيري الحمادي الزواج من أبناء العمومة من خلال مصاهرات سياسية، اقتضتها مصلحة الدولتين وعادت هذه المصاهرات بالمنفعة الكبيرة على السلطة، فبعد مضي سنة عشر سنة من تسلم الأمير الزيري تميم بن المعز والأمير الحمادي الناصري بن علناس مقاليد الحكم

---

[1] أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص:58 .

[2] مجهول، المصدر السابق، ص:129.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:99.

[4] يوسف برحو، " طبقات المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين" ، مجلة القرطاس، العدد11، جانفي 2019، ص:159.

في الدولة أجرم الصلح بينهما سنة (470هـ/1077م) لدفن الخصومة التي كانت مصدر ضعف لكلتا الدولتين. [1]

ومثال لهذا الزواج نجد زواج الطبع الذي كان بين"الناصر وبلاوة" ابنة تميم حيث زفت إليه ومعها هدايا من الذهب وبعض الحيوانات النادرة وجهزها من المحمدية برا في عساكر عظيمة ومال وذخائر وحقق هذا الزواج نجاحا باهرا وبلغ من حب الناصر للأميرة أن بنى لها قصرا في القلعة وآخر في بجاية وسمي كلاهما باسمها. [2]

كما قام من بعده الأمير يحي بن تميم (509هـ/1119م) مع الأمير العزيز بالله إذاً زوجه ابنته بدر الدجى وجهزها إليه وبفضلها عم السلم و الأمن.

إلا أن هذا النوع من المصاهرات لم يكن بمنأى عن العواقب الوخيمة فإن المنصور وعلى غرار أبيه الناصر كان قد تزوج من سيدة زناتية ابنة ماخوخ زعيم بني مانوا، لكن أباها تحالف مع المرابطين فثارت الفتنة بين زناتة والحماديين ودخل المرابطين مع حليفهم ماخوخ أرض الحماديين ولما انتهت الفتنة غراهم المنصور لكنه هزم ورجع إلى بجاية وقتل بابنة ماخوخ التي كانت تحبه، لقد مثلت بالنسبة إليه مجرد عنصر لضمان ولاء ماخوخ وزناتة وفقدت بخيانة أبيها ماخوخ. [3]

المطلب الرابع: الآفات الاجتماعية في العهد الحمادي الثاني:

إن كل المجتمعات بالمغرب الإسلامي كانت بها عادات سيئة تنتشر في أواسط السكان، وبجاية من المجتمعات التي دخلتها بعض الآفات الاجتماعية التي لم تلقى اهتماما من الجغرافيون والمؤرخون، لكننا استنتجناها مع بعض النشاطات التي كانت سائدة في المجتمع ومن الآفات الاجتماعية ببجاية الحمادية نجد:

---

[1] عبد القادر بوعتادة وآخرون، المرجع السابق، ص ص:82-83.

[2] المرجع نفسه، ص:83.

[3] المرجع نفسه، ص ص:83-84.

- بيع الخمر بأسواق بجاية، وبنا أنه يباع إذا لقي رواجا واستهلاكا من قبل البجائيين وهذا ما أكده رشيد بورويبة بقوله: " ...وأن في عهد العزيز كانت الخمر تباع في سوق باب البحر ببجاية". [1]

- مجالس اللهو الليلية على أصوات النساء المطربات حيث تجد هذه المجالس قد انتشرت في عهد الأمير يحي بن العزيز وهذا على حد ما قاله ابن خلدون: "وطالت أيامه مستضعفا مغلبا للنساء...". [2]

- وأيضا قال ابن الخطيب : "...كلفا بالملهين، بعض منهم عنده فحو العشرين بين رجل و امرأة من شيوخ وعجائز وحمقى، فكان يستلقي في بيته على الفراش الوتيرة كحشايا...فيلهيه ويضحكه".[3]

- الحرية الاجتماعية التي يتمتع بها المجتمع الحمادي فإنها تدلنا كذلك على نوع الحرية التي تمتعت بها المرأة، فقد كانت تختلط بالرجال، وتسفر عن وجهها بل إن بعض الرجال يتشبهون بها، فيلبسون الأقراق الزرارية ولباس الفتوحيات وقد ظهرت بتأثير هذه الحرية القريبة من الفوضى لاسيما في النصف الأخير من عمر الدولة كثير من المنكرات الصريحة كالخمور والتبذل الجنسي. [4]

- كما ستشهد بجاية خلال القرن(6هـ/12م) انعطافات سياسية في العهد الموحدي فسكانها عرفوا أواخر العهد الحمادي فترة إنحلال ومغالات في اللهو، فانتشر الفساد فيهم، كشرب الخمر والتسكع والفوضى مما أدى إلى تذبذب الأحوال الاجتماعية والاقتصادية. [5]

---

[1] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:162.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص:235.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:99.

[4] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص:240 .

[5] أمينة بوتشيش،" الأزمات السياسية والأوبئة والآفات ببجاية خلال العصر الوسيط" ، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد2، شتاء 1436هـ/2015م، ص:148.

❖ **المبحث الثاني: المنشأت العمرانية البجائية الحمادية :**

يعتبر العمران دليلا مهما وأكثر مصداقية يشهد على نمو وتطور المدن عبر التاريخ فمدينة بجاية " لؤلؤة المغرب" شهدت تنوعا كبيرا وقفزة نوعية في البنية التحتية تعجب لها القريب والبعيد فالتضخم العمراني الذي حققته إنما هو دليل على الحياة المزهرة التي عرفتها خلال حقباتها التاريخية . [1]

كرس الناصر جهده لبناء بجاية إذ جاء فيها أن ذوق الإبداع أصبح عندها الحاكم هواية شغلته تماما، لم يعد يفكر في فتوحات جديدة بل أهمل الإدارة الهامة في بقية الإدارة العامة في بقية دولته، مكرسا كل وقته لمراقبة تنفيذ الأشغال التي صممها ونظمها، وكان زيادة على ذلك، يجبر كل رعاياه على بناء المنازل لكي لا يبقى نقص مواد البناء حجة لبطء الأشغال، اتخذ قرارا صمم بالطريقة التالية " على كل شخص يريد الدخول إلى المدينة أن يحمل معه حجرا ومن لم يمتثل إلى هذا الأمر سيدفع رسما بنقد ناصيري (وكان الناصري عبارة عن قطعة نقدية صغيرة من الذهب تضرب في سكة الأمير) الوسيلة نجحت جيدا، وبفضل دفع هذا الأمر الموهوب والمنظم، ينبوع جسور لم تتأخر بجاية لتصبح المدينة الأكثر ازدهار. [2]

المطلب الأول: الأسوار والأبواب:

- **الأسوار:**

قال صاحب الاستبصار: "... والبحر يضرب في سورها ". [3]

قال الحميري: "...وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها" [4] .

قال إسماعيل العربي: "وهي مدينة أضيف إلى جانبها ربض أدير عليه رسوم ضام لنطاق المدينة فصار كالشيء الواحد". [5]

---

[1] أمينة بوتشيش، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرن السادس والسابع الهجريين(رسالة ماجستير)، ص:61.

[2] محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص: 44.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص:128.

[4] الحميري، المصدر السابق، ص:80.

[5] إسماعيل العربي، المدن المغربية، ص:171.

ينحدر من الناحية الشمالية للمدينة المسماة حاليا ببرج بوليلة إلى الجنوب ثم يتبع شط البحر نحو الشمال ويتراوح عرضه من 1,70 و 2,50م وارتفاعه بين 4 و6 م ونجد في أعلاه ممرا للحراس تكمله شرفات وكان هذا السور مبنيا بالحجر وصافات من الآجر مكلسا بالجير والأسمنت ، وحوالي كل 25م نجد بروجا ناتئة مستطيلة القواعد ذات المقاسات التالية: الطول 4م والعرض 3م والارتفاع 6م وكان نتوء البروج يبلغ 2,5م وكان باب لباب البحر قوسان مكسورتان مبنيتان بالآجر تعتمد القوس السفلي على دعامتين من الحجر أما القوس العليا فهمي ناتئة بالنسبة إلى الأولى وكان ممر الحارس موضوعا فوقها، وكانت المساحة الموجودة بين القوسين وبين القوس الثانية وممر الحراس مبنية بالحجر وصافات من الآجر، وعلى يمين الباب ويساره تجد برجا مستطيلا، وبجانب السور والأبواب هناك بناء آخر اسمه" شوق الرياض" وهو برج يحرس ثلاثة أبواب منها باب البنود وبقمة هذا البرج كانت توجد آلة بمرايا تستعمل للمراسلة مع بروج مماثلة مبنية في المدن الحمادية الرئيسية الأخرى، وفي الليل كانوا يستعملون النيران وبذلك ألقي على هذا البرج اسم "المنارة". [1]

- **الأبواب:**

حصنت بجاية بسبعة أبواب، لم يبق منها إلا بابين باب البحر وباب البنود، يعرف الآن بباب الفوقة ويقع في الجهة الشمالية الغربية للمدينة ويعتبر المدخل الرئيسي لها، أما بقية الأبواب فكان بها باب أمسيون، كان يقع في السور الشرقي للمدينة، وباب المرسى يقع في منطقة بريجة السفلى ويعرف أيضا بباب السادات، وباب اللوز يقع في المرتفع الذي يعرف بجبل خليفة في الجهة الغربية، هذا الباب هو الذي دخل منه بني غانية يوم الجمعة إلى بجاية، كما وجد بابان آخران باب المرقوم والذي يعرف بباب البر وباب دار الصناعة حطم من طرف الإسبان عندما استولوا على المدينة. [2]

---

[1] رشيدة بورويبة، المرجع السابق، ص:202.

[2] أمينة بوتشيش، ، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرن السادس والسابع الهجريين(رسالة ماجستير)، ص:62.

المطلب الثاني: القصور:

- **قصر اللؤلؤة:**

الذي بناه الناصر بن علناس، ويكون بناء هذا القصر موازيا لبناء مدينة بجاية. [1]

يقول صاحب الاستبصار:" في بجاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة، لم يرد الراؤون أحسن منها بناءا ولا أنزه موضعا، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة المنحنية، والمجالس المقرصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها، قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد، وقد كُتبت فيها الكتابات المحسنة وصورت فيها الصور الحسنة، فجاءت من أحسن القصور وأتمها منزها وجمالا" . [2]

أما الحميري فقال: "وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من الجبل قد خرج من البحر، متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة غاية في الحسن، فيها طاقات مشرقة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة المحلاة والمجالس المقرصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها وقد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد". [3]

ويقول ابن خلدون على بناء قصر اللؤلؤة: "وبنى بها قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا" [4] ، وقد بنى الناصر فيها المباني العجيبة المؤنقة وشيد المدارس العظيمة والمساجد والمعالم والقناطر المعلقة.

---

[1] الطاهر طويل، المرجع السابق، ص:303.

[2] مجهول، المصدر السابق، ص:130.

[3] الحميري، المصدر السابق، ص ص:81-82.

[4] عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص:232.

- **قصر الكوكب:**

يقع في الناحية الغربية للمدينة. [1]

وجاء في مخطوط البجاوي أن المنصور بنى القصر الذي يوجد فيه عرشه وهو معروف بقصر الكوكب، وهذا القصر من أجل قصور العالم فهو بناء عال مزين بتصاوير مرسومة بحجر الرنج ونبات اسمه الرجق يدقات معا ويزينون الجدران بعد قدها، ويلمح هذا القصر مثل أشعة الشمس، فكان له تسعة أبواب، ذات مصراعين من الخشب المنقوش لا يفتح كل واحد منها إلا إذا دفعه عدة رجال أقوياء، في الطابق الأول توجد غرف وحسب فيرو كان قصر الكوكب يشغل مكان برمج موسى الذي أسسه الإسباني بييدروانافارو في القرن السادس ولكن حسب البجاوي كان يقع بين القصبة وبرج موسى . [2]

- **قصر أميمون:**

هو الذي كان في مكان برج موسى، وقال الحسن الوزاني عن هذا القصر الأخير: " من جهة الجبل نرى حصنا صغيرا محاطا بأسوار ومزينا بالفسيفساء والخشب المنقوش. [3] ولجمال القصور في عهد الدولة الحمادية الثاني عبر عن جمالهم بعض الشعراء حيث قال ابن حمديس:

وكأنّهُ من دُرّةٍ شَفّافَةٍ *** تُعْشي العيونَ بشدّة اللمعانِ

لا يَرْتقي الرّاقي إلى شرفاتِهِ*** إلا بمعراج من اللحظانِ

عرّجْ بأرض الناصرّية كي تَرَى***شَرَفَ المكان وقدْرَةَ الإمكانِ

فالشاعر هنا أشار إلى لمعان القصر وارتفاعه وما يلاقيه الزائر من ترحيب من طرف خدام القصر. [4]

---

[1] الطاهر طويل، المرجع السابق، ص:303.

[2] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:246.

[3] المرجع نفسه، ص:246.

[4] المرجع نفسه، ص:247.

إلى جانب القصور اللؤلؤة والكوكب وأميمون نجد أيضا قصر النجم الذي كان يقوم على التلال ولا يقل جمالا في الصنع عنهم وهذا القصر المدفون تحت حصن موسى كان هذا أروع البجائية حسب وصف الشاعر ابن حمديس الصقلي في قصيدته يقول:

أعليتَ بين النجم والدّبرانِ ***قصراً بناهُ من السعادة بانِ

فَضَحَ الخوَرنَقَ والسديرَ بحسنه ***وسما بقمّتِهِ على الإيوانِ. [1]

- **الأحياء:**

ومن أحياء بجاية : حومة باب البحر القريبة ولا شك من الباب الذي تنتسب إليه واشتهر ببيع الخمور فيها، وحومة باب أمسيون وحومة باب باطنة التي وجدت بها دار المقديسي المعروف بدار الفقيه هلال، وحومة اللؤلؤة القريبة من القصر الذي نسبت إليه، وحومة المذبح الواقعة في ناحية الربض، وحارة ملالة التي بنى فيها أبناء العزيز مسجدا للمهدي بن تومرت ليدرس فيه، تقع في ضواحي بجاية. [2]

ومن الأحياء التي وجدت خارج سور المدينة: حومة ساباط الأموي وحارة المقدسي الواقعة بعد منحدر، ولا يعرف ما إذا كانت هناك علاقة بين هذه الحارة وبين دار المقدرسي الواقعة في حومة باطنة وحومة رابطة المتمني، وحومة بئر المسفر القريبة من مقبرة أبي علي رسمية خارج موقع باب البنود. [3]

المطلب الثالث: المساجد:

- **الجامع الأعظم:**

يعود بناءه إلى القرن الخامس هجري والحادي عشر ميلادي في عهد المنصور كان طول هذا المسجد 220 ذراعا وعرضه ذراعا، وله واجهة مزينة بسبعة عشرا عقدا وباب كبير على يمينه ويساره ألواح خارجية مزينة بكتابات رائعة الشكل وبجانب هذا الباب الرئيسي كان للمسجد 22 بابا أخرى، أحدها يؤدي إلى بيت صلاة مخصصة للنساء، وكان يحرسه شيخ كبير

---

[1] إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص ص:192-193.

[2] محمد بن عميرة ولطيفة باشري بن عميرة، المرجع السابق، ص ص:62-63.

[3] المرجع نفسه، ص:63.

في السن، وداخل المسجد نجد 32 سارية من الرخام وقبة عظيمة، وكانت أرض المسجد مفرشة بالرخام وجدرانه مغطاة بالزليج وعليها كتابات قرآنية وكان ارتفاع مئذنة هذا المسجد يبلغ 60 ذراعا وضلع قاعدته المربعة 20 ذراعا. [1]

وعلى الجامع الأعظم يقول العبدري: "ولها جامع عجيب متفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصفة المذكورة وهو مشرف على برها وبحرها وموضوع بين سحرها ونحوها، فهو غاية في الفرجة والأنس، ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس، وأهلها يواظبون على الصلاة فيه مواظبة رعاية ولهم في القيام بهت هتهم وعناية..." . [2]

من أبرز علماء وأئمة المسجد الأعظم نجد بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الأشبيلي، بعدها رحل إلى بجاية، ألف التآليف وصنف الدواوين، وولى الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم. [3] وظل هذا المسجد مركزا للعلماء ومقصدا للطلاب.

- **مسجد الريحانة:**

ذكر البيذق في كتابه أخبار المهدي: " أن المعصوم لما دخل بجاية نزل بمسجد الريحانة، وهو مسجد مبني عند دار يرزيجن بن عمر المكنى أبا محمد الذي سماه المعصوم رضي الله عنه عبد الواحد فكان الطلبة يقرؤون العلم عليه، فإذا فرغوا جلس بين الطرق تحت خروب العجوز، وهو أبداً ينظر إلى الطريق ويحرك شفتيه بالذكر وذلك الموضع يعرف بخروب العجوز . [4]

جاء في مخطوط البجاوي أن الأمير الحمادي المنصور أتم بناء قصر اللؤلؤة في سنة 494هـ/1100م وحوله إلى مسجد ووضع الحجر الأساسي لمحرابه وزينه بعمودين من الرخام الأحمر والأصفر ولم ير مثلهما وجدا في ردم كنسية، ولما سمع صاحب روما بذلك أراد أن يشتريهما من المنصور ولكن لم يقبل وبنى محراب المسجد بين العمودين، وذكر البجاوي أو الأمير الحمادي شيد جُبا في صحن المسجد لم ير مثله في الكبر ومئذنة قرب بئر البستان يبلغ

---

[1] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:208.

[2] العبدري البلنسي، المصدر السابق، ص ص:49-50 .

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص:41.

[4] أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط، 1971، ص ص:13-14.

ارتفاعها 70 ذراعا وعرضها 25 ذراعا وكان لهذه المئذنة بابان أحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الجنوب، وكان بابا المئذنة وقوائمهما وساكنهما عن الرخام المنقوش، واشترى المنصور العمود الأخضر بمبلغ كبير ووضعه في المسجد، وكان المحراب وما يحيط به من الرخام الأبيض وفي وسطه عصابة مستديرة نقشوا عليها آيات من القرآن الكريم وكانت جدران المسجد مزينة بالنقوش وتصاوير رائعة الجمال من أسفلها إلى أعلاها من بينها كتابات تُقرأ بسهولة وكانت الأعمدة مزخرفة هي الأخرى بأناقة كبيرة، أما العمودان الأحمران، فهما موضوعان إزاء المحراب، وفوق القبة كانت مكتبة فيها كتب جاءت من البلدان البعيدة، وكتب الأساتذة الذين يدرسون في المسجد وبجانبها غرف الأساتذة، وكان عدد أعمدة هذا المسجد تبلغ 412 عمودا، وطوله 222ذراعا وعرضه 150 ذراعا، وفي مقدمة المسجد نجد مقصورة بابها قرب المنبر. [1]

بالإضافة إلى مسجد النطاعين ومسجد سيدي عبد الحق الأزدي الإشبيلي دفين بجاية من القرن(6هـ/12م) وهو عبارة عن قاعة مربعة الشكل بها محراب ولا يحوي مئذنة، تؤدي به الصلاة وتدريس الطلاب، كما وجد مسجد بالقرب من بجاية بضبط منطقة ملالة وهو مسجد سيدي يحي ربما يكون للفقيه أبي زكريا الزواوي المتوفى سنة(611هـ) ولكن هذا المسجد لم يبق منه سوى آثار محرابه. [2]

المطلب الثالث: الأضرحة والقبور:

- **الأضرحة:**

كانت الأضرحة [3] موجودة ببجاية الحمادية لكن لم يبق منها إلا القليل بسبب الاستعمار يد الإسباني ومن بين ما تبقى ضريح سيدي أحمد المراكشي(6هـ-12م) وضريح سيدي أبي علي المسيلي(6هـ-12م) و ضريح رمزي، وضريح سيدي يحي أبي زكريا (6هـ-12م) بالإضافة إلى قبر سيدي عبد الحق الإشبيلي الموجود داخل الجامع الذي يحمل اسمه. [4]

---

[1] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:209.

[2] أمينة بوتشيش، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين(رسالة ماجستير)، ص:65.

[3] الأَضرحة: جمع ضريح، وهو عبارة عن قبر عمارته تعلو سطح الأرض وفوقها قبة، وسلاجقة الأتراك هم أول من صمموا مثل هذا النوع من القبور، ينظر: أمينة بوتشيش، المرجع نفسه، ص:65.

[4] المرجع نفسه، ص ص: 65-66.

- **القبور:**

كان دفن أموات بجاية يقع عادة في أماكن قريبة من سورها وفي غالب الأحيان في المقابر الممتدة خارج الأبواب، مثل مقبرة ابن سمية التي كانت خارج باب البنود، وكانت هناك مقبرة أخرى خارج باب أمسيون وكان الناس يزورون قبور الأولياء الصالحين خارج باب المرسى. [1]

عثر على قبور عديدة مختلف الشكل :

✓ **النوع الأول:**

يشتمل النوع الأول ثلاثة أجسام متوازية السطوح يعلوها جذع هرم، إن وجود جذع الهرم والجسم المتوازي السطوح العلوي مزينة بكتابة كوفية.

✓ **النوع الثاني:**

يحتوي على جسمين متوازيي السطوح يعلوها جذعا هرمين، أحدهما موضوع على قاعدته الصغيرة والأخر على قاعدته الكبرى، مزين بتجويف وهذه من اللالىء بينما جذعا الهرمين مؤثثان بكتابة كوفية.

✓ **النوع الثالث:**

تتكون من جسمين متوازيي السطوح يعلوهما جذع هرم، إن الوجه الأفقي للجسم الأول ووجوه الجسم الثاني وجذع الهرم مزينة بكتابة كوفية . [2]

✓ **النوع الرابع:**

يشتمل على قاعدة وثلاثة أجسام متوازية السطوح يعلوها جذع هرم، إن في جذع هرم هذا القبر الوجهان الكبيران مزينان بكتابة كوفية والوجهان الصغيران مزينان بزهيرة.

---

[1] محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص:65.

[2] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:298.

✓ **النوع الخامس:**

يشمل على ثلاثة أجسام متوازية السطوح يعلوها جذع هرم في هذا الضريح متوازي السطوح الثاني وجذع الهرم مزينان بكتابة كوفية بينها متوازي السطوح الثالث مؤثث بصف من اللالىء.

✓ **النوع السادس:**

يحتوي على متوازي السطوح يعلوه موشور ذو قاعدة على شكل مربع منحرف، إن وجود الجسم المتوازي السطوح مزينة بزهيرات تتدرج في قلوب بينما نرى موشور في الزخرفة النباتية تتناوب مع الزخرفة الكتابية.

✓ **النوع السابع:**

هو على شكل جسم متوازي السطوح يعلوه نصف أسطوان ويمتاز هذا القبر بالأسدين اللذين يزينان وجهاه الصغيران. [1]

[1] المرجع نفسه، ص:298.

وفي الأخير بعد إتمامنا لهذا البحث توصلنا إلى عدة استنتاجات كالآتي:

- ✓ بجاية مدينة تقع شرق المغرب الأوسط موقعها الجغرافي استراتيجي حيث يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ولها مرسى كبير تأتيه السفن محملة، مما جعلها قاعدة اقتصادية تجارية حيث تعد موانئ بجاية الناصرية من أشهر موانئ البحر المتوسط وميناءها آمنا طبيعيا وبشريا، تتمتع بغطاء نباتي كثيف له جملة من النباتات التي تستعمل في صناعة الطب.

- ✓ تعد بجاية عين بني حماد وهي العاصمة الثانية للحماديين حيث نقلوا إليها ذخائرهم بعد انتقالهم إليها وانتقالهم كان لعدة أساب منها: موقعة سبيبة التي هزم فيها الناصر بن علناس سنة 457هـ أمام أبناء عمومته الزيريين، وأيضا الناصر كره مجاورة بن حماد في القلعة التي كان يسكنها فرسان من صنهاجة.

- ✓ اختيرت بجاية عاصمة للحماديين نتيجة لموقعها ومناخها اللذان أعجبا الناصر بن علناس، حيث اختطها سنة 460هـ/1067م وسماها الناصرية وعظم شأنها في عهده وبلغت درجات من التطور في شتى المجالات.

- ✓ ازدهرت الحياة الاجتماعية ببجاية الناصرية نتيجة عوامل مختلفة فالطبيعة تكمن في موقع بجاية الذي يتوسط مدن المغرب الأوسط وقربها من القلعة المسيلة، وموقعها الصعب على من يريد بها شرا خاصة العرب الهلاليين، أما العامل السياسي فتمثل في الاستقرار السياسي الذي أراد الناصر بن علناس أن يكون في عاصمته الثانية، أما العامل الاقتصادي برز في كونها حاضرة تجارية برا وبحرا مع مدن المغرب وبعض الدول الأوروبية، والعامل الثقافي ظهر في احتلال بجاية مكانة مرموقة بين حواضر العلم بالمغرب والمشرق ودخلها العديد من العلماء والمفتين، والعامل الاجتماعي تمثل في الأزمات الاجتماعية التي أصابت الحواضر الأخرى، فكان أملهم بناء دولة قائمة مستقرة بإتباعهم أساليب في الاندماج مع البربر خاصة عن طريق المصاهرة.

- ✓ تنوعت ساكنة بجاية خلال العهد الحمادي الثاني فأصل السكان كان من القبائل البربرية والعنصر العربي الذي استوطنها بعد الفتوحات الإسلامية وأيضا نجد العنصر الأندلسي والعنصر الرومي.

- ✓ انقسم مجتمع الناصرية إلى طبقات ، فالطبقة الحاكمة ضمت الأمراء والحكام الذين تولوا الحكم عليها بداية بالناصر بن علناس حتى آخر حاكم يحي بن عبد العزيز، أما الطبقة الوسطى فقد تكونت من التجار والصناع والطبقة العامة ضمت الأدباء وطلبة العلم وعامة الناس، والطبقة الأخيرة فقد تكونت من العبيد والإماء، كما لعبت المرأة دورا هاما في المجتمع الحمادي.
- ✓ من مظاهر الحياة الاجتماعية نجد: مأكولاتهم من مزارعهم، بالإضافة إلى اللحوم و التمور والزيت والسمن والعسل، أما لباسهم فكان من مختلف أنواع القماش وتشبه لباس الرجال بالنساء، كما كانت لهم عمائم شُرب مذهبة، كما كانت النساء من عائلة الأمراء تلبس زي العرائس .

الملحق رقم 1: صورة تمثل خليج بجاية حاليا [1]

الملحق رقم 2: صورة تمثل باب البحر ببجاية حاليا[2]

[1] صورة ملتقطة من طرف الباحثة .

[2] صورة ملتقطة من طرف الباحثة .

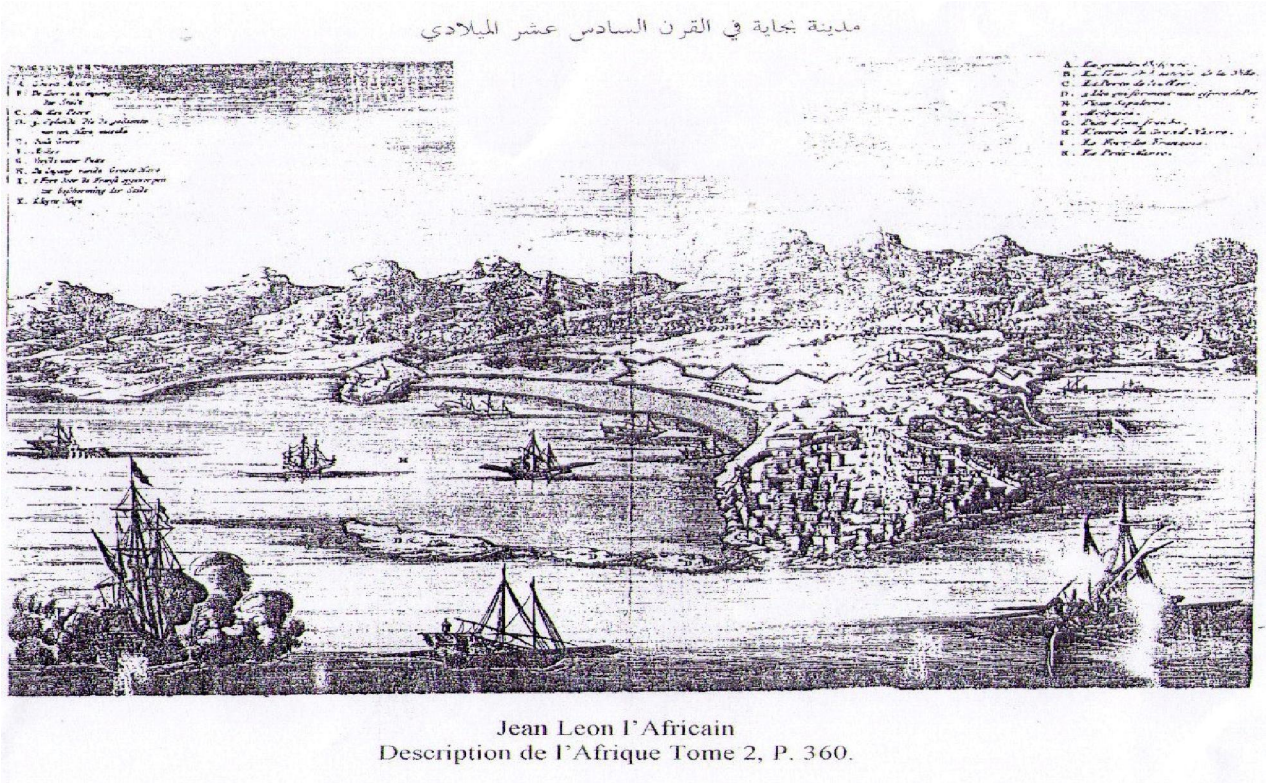

الملحق رقم 3: صور تمثل مدينة بجاية في القرن السادس عشر ميلادي [1]

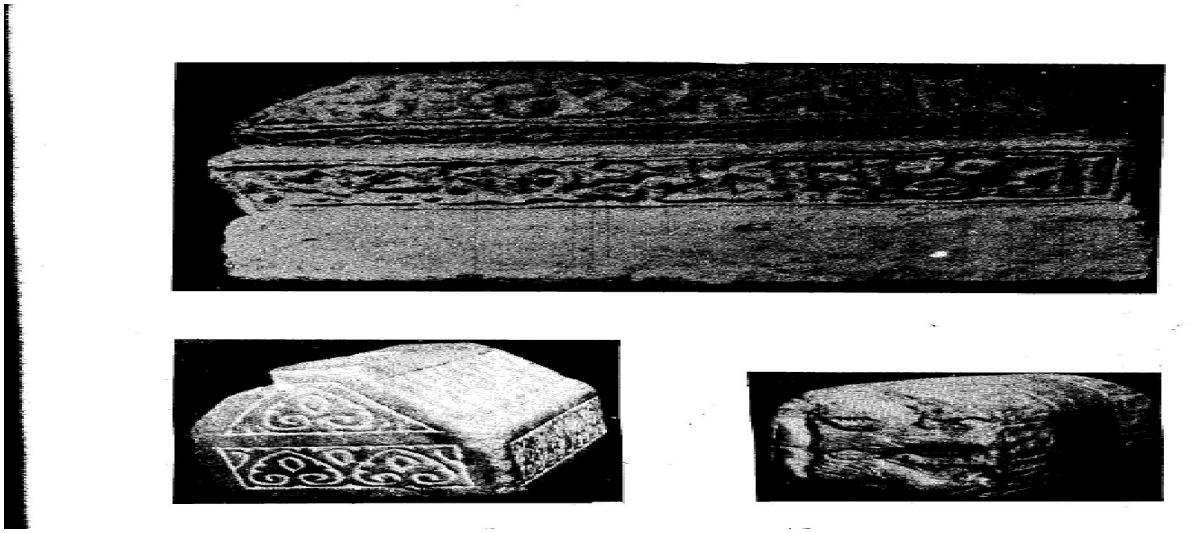

الملحق رقم 4: صورة تمثل قبور حمادية ببجاية [2] .

[1] سيدي موسى محمد الشريف، المرجع السابق، ص:326.

[2] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص:300.

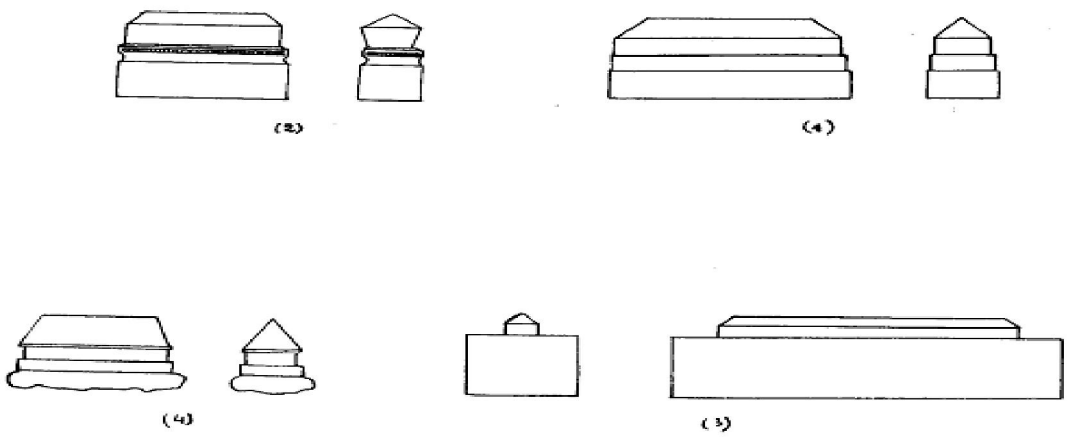

الملحق رقم 5: صورة تمثل قبور حمادية ببجاية[1] .

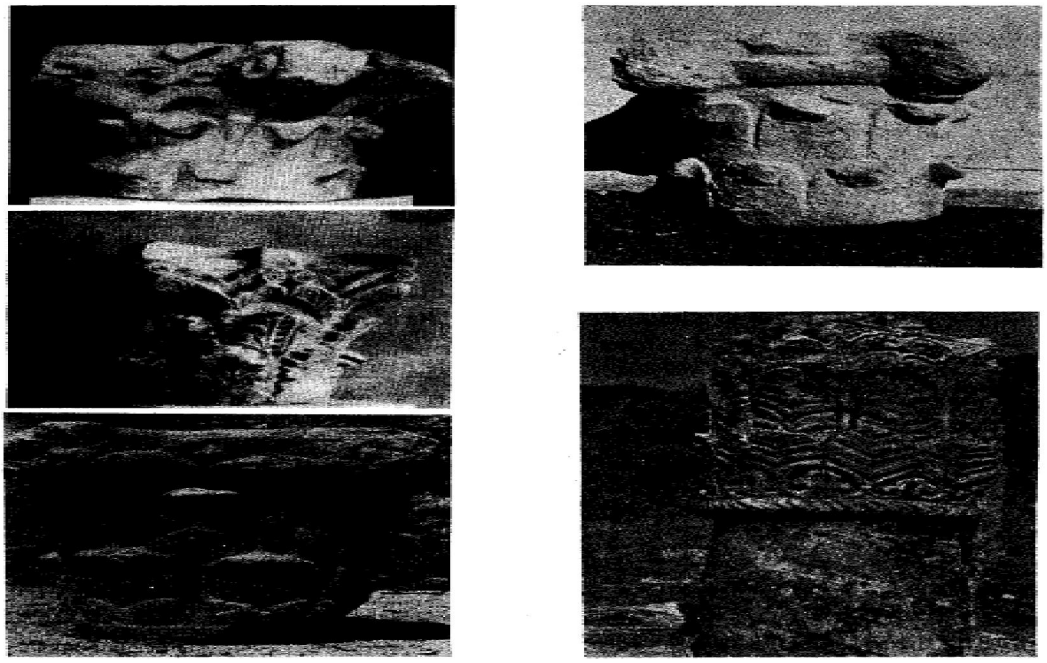

الملحق رقم 6: صورة تمثل تيجان حمادية ببجاية [2] .

[1] المرجع نفسه، ص:299.

[2] المرجع نفسه، ص:297.

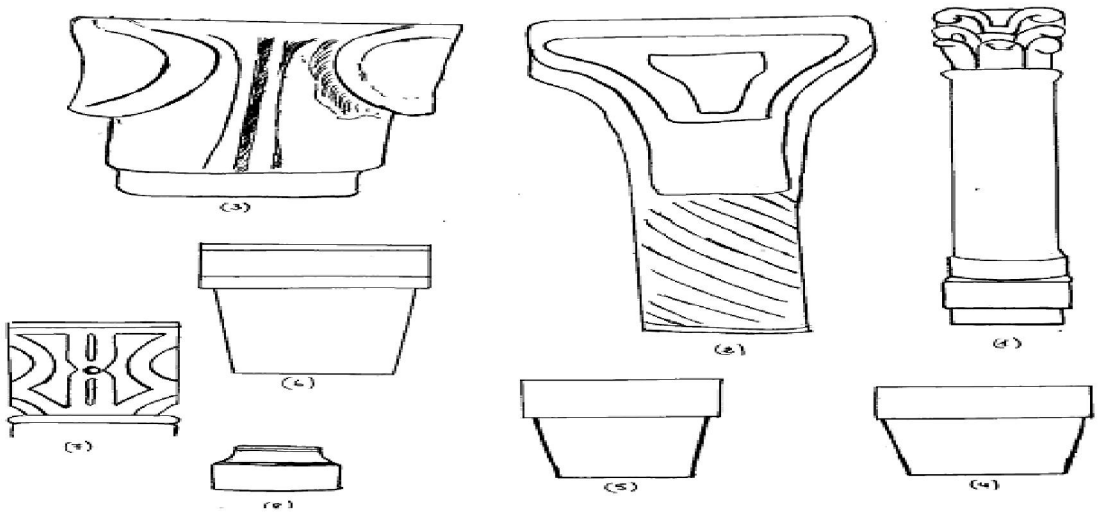

الملحق رقم 7: صورة تمثل قاعدة تيجان حمادية ببجاية [1] .

الملحق رقم 8: صورة تمثل أدوات وأواني منزلية حمادية ببجاية [2] .

[1] المرجع نفسه، ص:295.

[2] المرجع نفسه، ص:282.

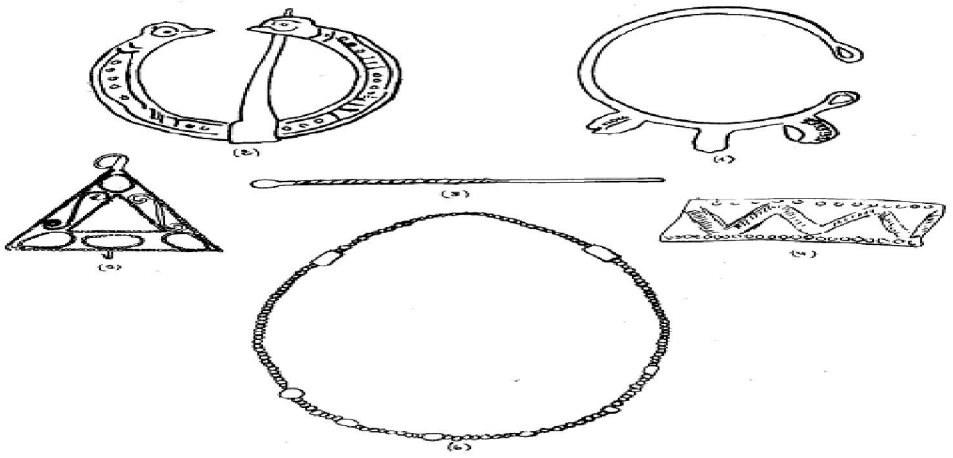

الملحق رقم 9: صورة تمثل حلي متحف قسنطينة [1] .

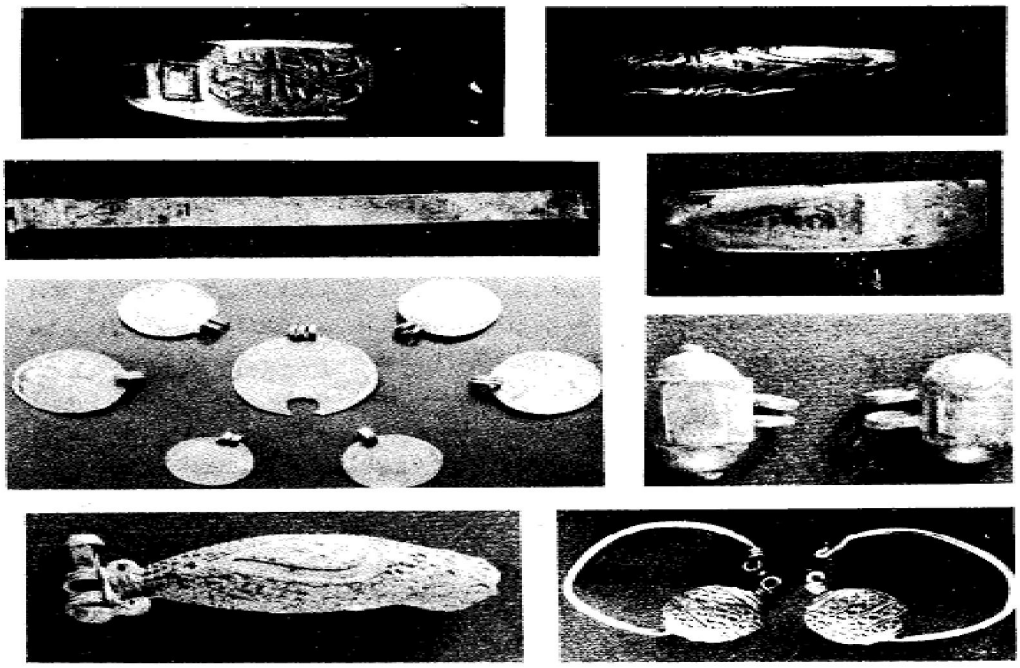

الملحق رقم 10: صورة تمثل حلي متحف سطيف [2] .

[1] المرجع نفسه، ص:310.

[2] المرجع نفسه، ص:311.

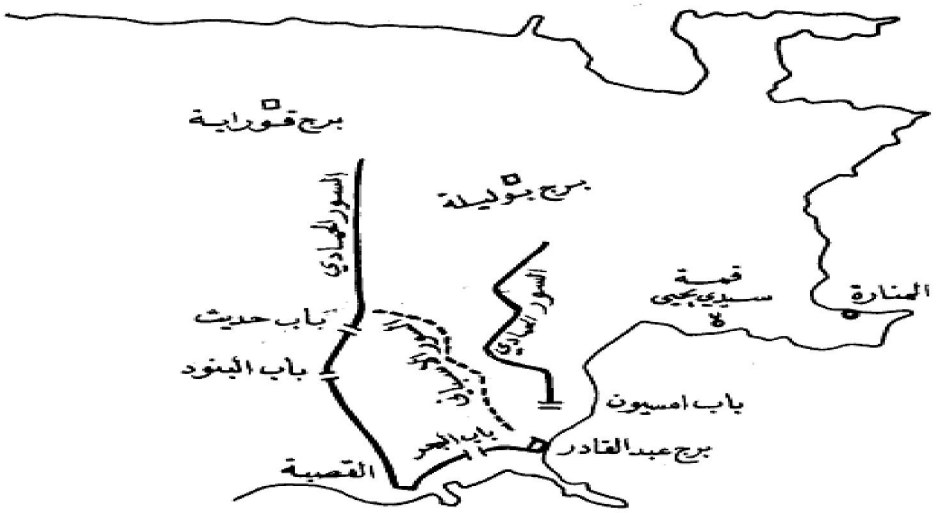

الملحق رقم 11: صورة تمثل سور بجاية الحمادية[1] .

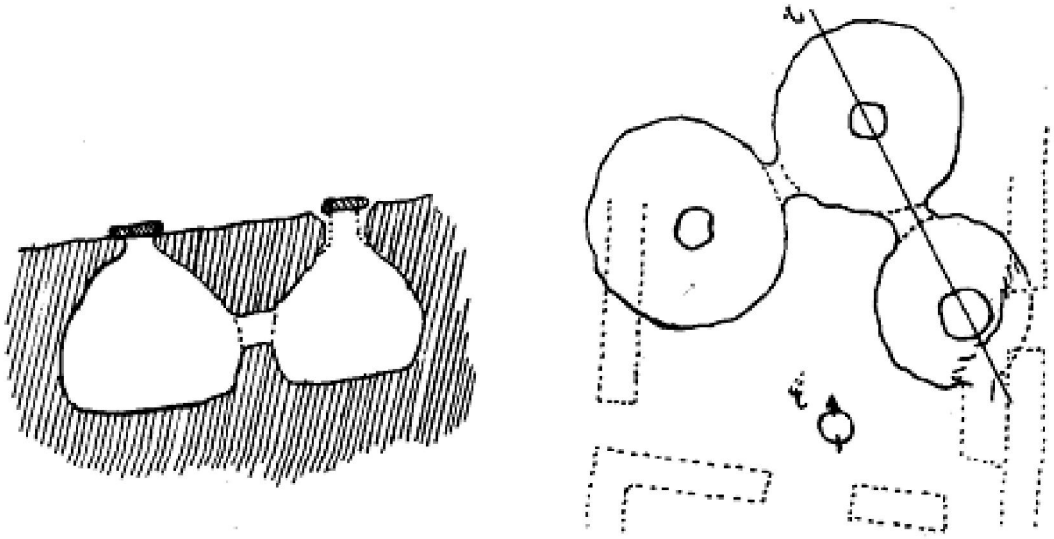

الملحق رقم 12: صورة تمثل مطامير قلعة بني حماد، تصميم ومقطع عن لوسيان قولفين[2] .

(1) المرجع نفسه، ص:200.

(2) المرجع نفسه، ص:138.

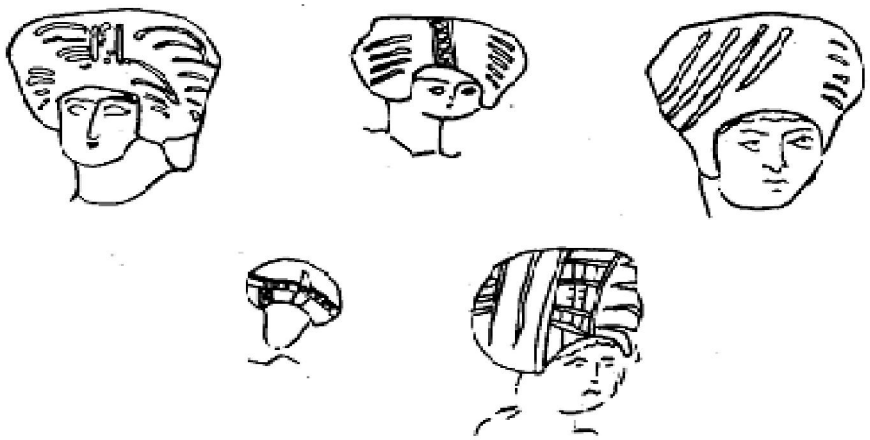

الملحق رقم 13: صورة تمثل العمائم الفاطمية عن لوسيان قولفين.[1]

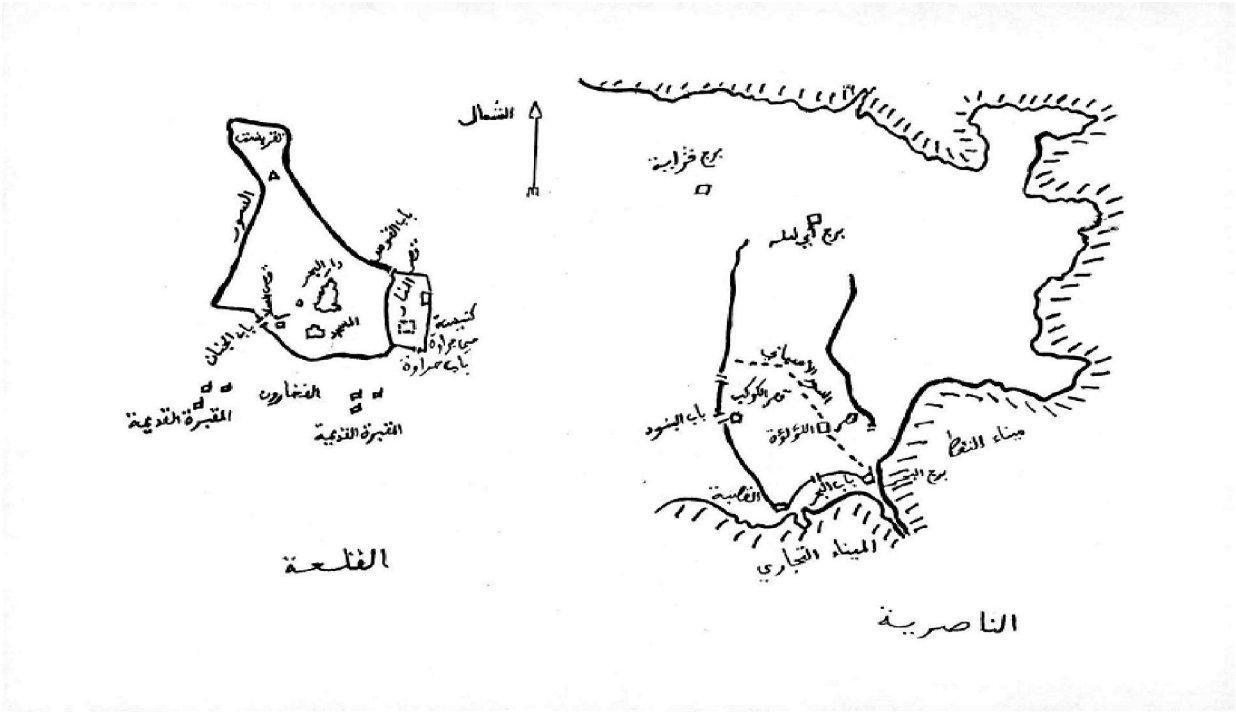

الملحق رقم 14: صورة تمثل الناصرية والقلعة الحمادية ببجاية [2] .

---

[1] المرجع نفسه، ص:138.

[2] محمد الطمار، المرجع السابق، ص:154.

الملحق رقم 15: صورة تمثل باب البنود حاليا [1].

الملحق رقم 16: صورة تمثل بقايا قصر أميمون.[2]

[1] عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها(دراسة أثرية)، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص:331.

[2] المرجع نفسه، ص:304.

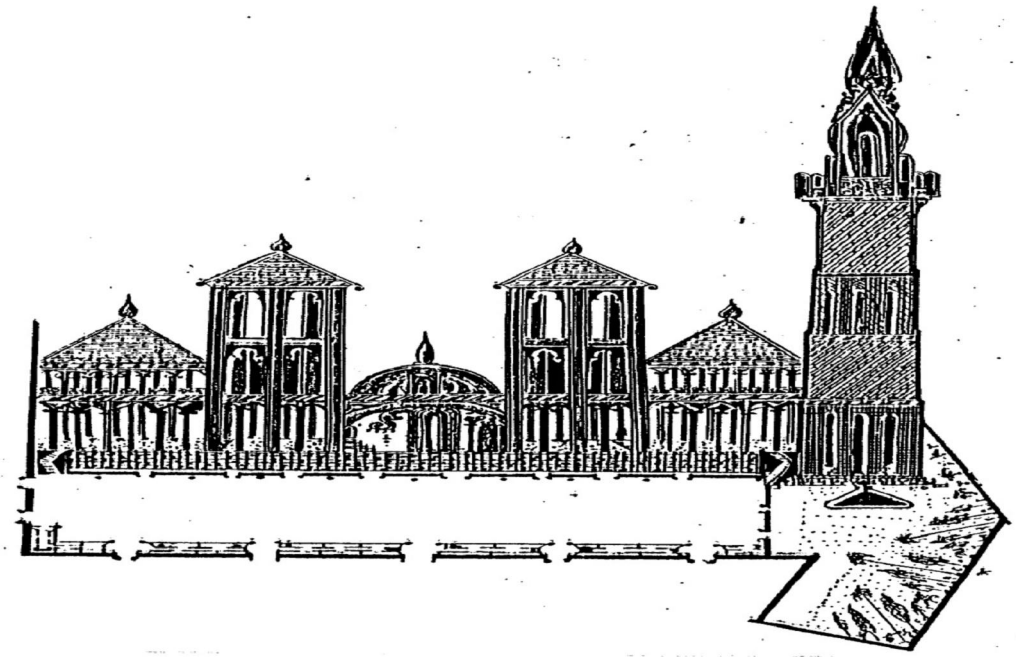

الملحق رقم 17: صورة تمثل المسجد الملحق بصقر اللؤلؤة.[1]

الملحق رقم 18: صورة تمثل بقايا قصر المنار بقلعة بني حماد مسيلة.[2]

[1] المرجع نفسه، ص: 303.

[2] المرجع نفسه، ص:301.

أولا: المصادر

1. ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمدية، 1286م، ط1.

2. ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ)، الحلة السيراء في أشعار الأمراء، تح وتع: حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط2.

3. ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، مر وتص: محمد يوسف الدقاق، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ط1.

4. ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح وتع: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب، الدار البيضاء، 1964م.

5. ابن حزم الأندلسي محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب ، تح وتع: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5.

6. ابن حوقل أبي القاسم النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.

7. ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(ت808هـ)، ج6، ضبط: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، 1431هـ/2000م.

8. أبو الفداء عماد الدين، تقويم البلدان، تص: رينود ودوسلان، دار الطباعة السلطانية، 1840م.

9. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مجلد1، مكتبة الثقافة الدينية.

10. البكري أبي عبيد الله بن العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب في جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

11. البيذق أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

12. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، مجلد1، دار صادر ، بيروت، 1397هـ/1977م.

13. الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت.

14. السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1.

15. العبدري محمد البلنسي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007م، ط1.

16. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (644هـ/714م)، تح وتع: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة. بيروت.

17. مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.

18. المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح و مرج: ج.س كولان، وليفي بروفينسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ط3.

19. المراكشي محي الدين أبي محمد عبد الواحد ابن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة بريل، لندن.

20. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج24، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

21. الوزان حسن أحمد بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط2.

ثانيا: المراجع :

1. أبو رزاق أحمد بن محمد، الأدب في عصر دولة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

2. أحمد موسى عز الدين، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشروق، 1403هـ/1983م، ط1.

3. بن عميرة محمد وبشاري بن عميرة لطيفة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى العهد الأتراك العثمانيين، دار المعارف، الجزائر، ط1، 1436هـ/2015م.

4. بن يوسف سليمان داود، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبو داود، الحراش، 1993م.

5. بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1397هـ/1977م.

6. بوعقادة عبد القادر وآخرون، طبقات مجتمع المغرب الأوسط قراءة في الموروث والذهنيات، الجزائر، 2018م.

7. بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط3.

8. تمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

9. حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج2، دار الهدى، الجزائر.

10. السيد محمود، دول المغرب العربي(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة.

11. شبانة محمد كمال، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1429هـ/2008م، ط1.

12. الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

13. الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م.

14. طويل الطاهر، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2011م، ط1.

15. العربي إسماعيل، المدن المغربية، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

16. العربي إسماعيل، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

17. عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م.

18. عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار صحوة، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م.

19. فاليرين دومينيك، بجاية ميناء مغاربي(1007-1510م)، تر: علاوة عمارة، ج1، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.

20. الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تق وتص: محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب.

ثالثا: الدوريات :

1. أبو دياك صالح، مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب من القرن الرابع إلى القرن الثامن هجري(أبحاث اليرموك).

2. برحو يوسف، طبقات المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين(مجلة القرطاس)، العدد11، جانفي 2019.

3. بوتشيش أمينة، الأزمات السياسية والأوبئة والآفات ببجاية خلال العصر الوسيط(المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية)، العدد2، شتاء 1436هـ/2015م.

4. عمارة علاوة، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط(مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية)، العدد26، قسنطينة، الجزائر، 2006.

رابعا: الموسوعات:

1. العفيفي عبد الحكيم، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة ، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.

خامسا: الرسائل الجامعية :

1. بوتشيش أمينة، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين(رسالة ماجستير)، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/11/11، 2008/2007م.

2. جلول صلاح، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي(رسالة ماجستير)، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2015/02/08، 2015/2014م.

3. سيدي موسى محمد الشريف، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عهد الموحدين إلى الاحتلال الإسباني(6هـ-10هـ/ 12م-16م)،أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010/2009م.

4. عزوق عبد الكريم ، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها(دراسة أثرية)، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008/2007.

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: جغرافية وتأسيس مدينة بجاية الحمادية	
❖ **المبحث الأول : الموقع الجغرافي لبجاية.**	**01**
المطلب الأول: الموقع الجغرافي.	**01**
المطلب الثاني: خصائص ومميزات موقع بجاية.	**03**
❖ **المبحث الثاني: عوامل تأسيس مدينة بجاية**	**07**
❖ **المبحث الثالث: اختطاط وتأسيس مدينة بجاية**	**11**
الفصل الثاني: عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية والتركيبة السكانية	
❖ **المبحث الأول: عوامل تطور الحياة الاجتماعية .**	**15**
المطلب الأول : عوامل طبيعية.	**15**
المطلب الثاني : عوامل سياسية واقتصادية.	**16**
المطلب الثالث : عوامل ثقافية واجتماعية	**18**
❖ **المبحث الثاني: سكان المجتمع الحمادي ببجاية .**	**20**
المطلب الأول : العناصر السكانية و أشهر القبائل	**20**
❖ **المبحث الثالث: فئات المجتمع.**	**22**

المطلب الأول : الطبقة الحاكمة.	**22**
المطلب الثاني : الطبقة الوسطى.	**28**
المطلب الثالث : الطبقة العامة.	**30**
المطلب الرابع : طبقة العبيد والإماء.	**32**
المطلب الخامس : دور المرأة في المجتمع.	**33**
الفصل الثالث : المظاهر الاجتماعية والعمرانية ببجاية الحمادية	
❖ **المبحث الأول : مظاهر الحياة الاجتماعية**	36
المطلب الأول : الأكل.	36
المطلب الثاني : اللباس.	36
المطلب الثالث: المناسبات	37
المطلب الرابع: الآفات الاجتماعية	38
❖ **المبحث الثاني: المنشأت العمرانية**	40
المطلب الأول : الأسوار و الأبواب	40
المطلب الثاني : القصور.	42
المطلب الثالث : المساجد.	44
المطلب الرابع : الأضرحة والقبور.	46
خاتمة	49

الملاحق	51
قائمة المصادر والمراجع	60
فهرس الموضوعات	